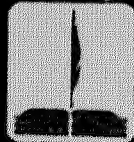


محمّد علي أسير

الصحابي
الجليل

ابن الاسود

دار الامالة



الصالحين المجتهدين
المقدّرين بنو السور والندري

الصَحَائِنُ الْجَلِيلُ
لِلْحَقِّدَارِ بْنِ الْأُسُودِ الْكَنْدِيِّ
فَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ (ص)



جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٩٨٢-١٤٠٢ هـ

فَالُوا فِي الْمَقْدَادِ كَلِمَاتُ مَسَلْسَلَةٍ مِنْ ضِيَاءِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى

قال رسول الله (ص): إِنَّ الْجَنَّةَ تَشْتَاقُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: عَلِيٍّ،
وَسَلْمَانَ، وَالْمَقْدَادَ، وَأَبِي ذَرٍّ. «متفق عليه».

وقال: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ: عَلِيٍّ،
وَسَلْمَانَ، وَالْمَقْدَادَ، وَأَبِي ذَرٍّ. «متفق عليه».

وقال: لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ سَبْعَةَ نَجَبَاءَ وَزُرَّاءَ وَرَفَقَاءَ،
وَإِنِّي أُعْطِيتُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ، عَدُّ مِنْهُمْ الْمَقْدَادُ. «متفق عليه».

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: ضَاقَتِ الْأَرْضُ
بِسَبْعَةٍ، بِهِمْ تُرْزَقُونَ، وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ، وَبِهِمْ تُمَطَّرُونَ، وَعَدُّ
مِنْهُمْ الْمَقْدَادُ.

الطوسي: أخبار معرفة الرجال، ص (٦ و٧)

وقال حفيد رسول الله الإمام محمد الباقر (ع): ارْتَدَّ النَّاسُ
(أَيَّ يَوْمٍ غِيَبَةِ الرَّسُولِ) إِلَّا ثَلَاثَةً، عَدُّ مِنْهُمْ الْمَقْدَادُ.

المصدر السابق: صفحة (١١)

وقال الإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر (ع): انْزَلُوا دَاوُودَ

البرقي مني، بمنزلة المقداد من رسول الله.

المصدر السابق، صفحة (٤٠٢)

وقال الإمام موسى بن جعفر الصادق (ع): إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: أين حواري رسول الله؟؟ فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر.

المصدر السابق، صفحة (٩).

وقال ابن سعد في الطبقات، المجلد الثالث، صفحة (١٦٢)، وابن حجر العسقلاني في الإصابة، جزء (٣)، ص (٤٥٤) قالوا: المقداد أول من قاتل على فرس في سبيل الله.

وقال صاحب الوسائل: المقداد، ويكنى أبا معبد، ثاني الأركان الأربعة، قاله الشيخ والعلامة، وهو عظيم القدر، شريف المنزلة جليل، من خواص علي.

الحر العاملي: الوسائل، الجزء العشرين من المجلد التاسع، ص (٣٥٣)

وقال أصحاب منجد الأسماء: المقداد بن الأسود صحابي من الأبطال، لُقّب «حِبُّ الله، وحِبُّ رسوله».

«منجد الأسماء: مادة مقداد»

وقال ابن عبد البر القرطبي في كتابه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الجزء الثالث، بهامش كتاب الإصابة، ص (٤٧٢): المقداد من الفضلاء، النجباء، الكبار، الخيار، من أصحاب النبي.

وقال ابن مسعود: «أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة منهم

المقداد، وشهد بدماءً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله،
ومناقبه كثيرة».

ابن الأثير: أسد الغابة، الجزء الرابع، ص (٤١٠ و ٤١١)، طبع مصر،
١٢٨٦هـ.

وَسَمِعَ رسول الله (ص) رجلاً يرفع صوته بالقرآن، فقال:
أواب. فنظرنا، فإذا هو المقداد.

الاستيعاب: صفحة (٤٧٥)، المجلد الثالث بهامش الإصابة

قال رسول الله (ص): إن الله أمرني بحب
أربعة وأخبرني أنه
يُحبهم

قيل: يا رسول الله!! فَسَمَّيْهُمْ لنا.
قال: عليٌّ منهم، يقول ذلك ثلاثاً، وأبو ذر
والمقداد وسلمان.

ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٤، ص ٤١٠ و ٤١١، ط.
مصر ١٢٨٦هـ.

وابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج ١٠،
ص ٢٨٥، ط. أولى - الهند ١٣٢٧هـ.

وابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة
الأصحاب م ٣، ص ٤٧٥، بهامش الإصابة.

المقدمة

المقداد وجه بشري... وروح ملائكي...
وما من أحد يقرأ كلمات الرسول فيه...
ما من أحد يقرأ حياة الجهاد التي رأى فيها قدره الحبيب...
وعاشها لإسعاد الناس بشريعة الإسلام...
منذ كان ابن ثلاثين حتى صار ابن سبعين...
إلا وتأخذه هزة إجلال، وحب، وإعجاب. لهذه الشخصية
الفضلى... التي يضمها التراث الإسلامى في قلبه جوهرة
مضيئة خالدة...

ومع تلك المرتبة السنية التي يحتلها المقداد في تاريخ
الإسلام، فإننا نرى كتابات المؤرخين عنه تكاد تكون ومضاً
خاطفاً...

ثرى، هل كان سبب ذلك لأنه علوي النهج والهو...؟؟
أم سببه: أن المؤرخين في أكثريتهم درجوا على أن يضعوا
أقلامهم جنداً في دولة الحكام والأمراء...
أم لأنه لم يتول إمارة...

فالمقداد، أقسم للرسول (ص): إنه لا يتولّى إمارة...
خَشِيَّةٌ أَنْ تُسَوَّلَ لَهُ نَفْسُهُ أَنَّهُ أَرْفَعُ مِمَّنْ يَلِيهِمْ شَأْنًا^(١).

نحن نتساءل، ولا نحكم...
فقد يكون السَّبَبُ هذه الأمور مجتمعة، وقد يكون لا هذا،
ولا ذاك... .

الواقع، أنَّ ما كتبه المؤرخون عنه نَزَرٌ يسير...
وقد جَعَلْنَا هذا نواجه مَشَقَّةً كبرى، حينَ بَدَأْنَا نُهَيِّئُ
للكتابه عنه... .

ثم طَلَعَ علينا مَشَقَّةٌ ثانيةٌ هي: تضاربُ الروايات عنه...
وقد ذَلَّلْنَا هذه المشقة بأن أخذنا من الروايات ما ينسجم مع
سيرة المقداد، وعقله - ذلك العقل المصباح الذي جَعَلَهُ سَابِعُ
رجلي يعتنق الإسلام... .

وعندما فَرَضَ علينا الاستقصاء عن بطولات المقداد، أنَّ
نَعْرِضَ أَهَمَّ الغزوات التي بَرَزَ فيها، فوجئنا، بمَشَقَّةٍ ثالثةٍ أكثر
تعقيداً... .

ذلك، لأن الرواية الواحدة، تَرِدُ أحياناً على أوجهٍ
متعددة... ، كُلُّ منها يناقض الآخر... أو يكذبه... .

وقد لجأنا في هذه الحالات إلى أخذ رواية الثقات الذين
تَتَبَّقُ أخبارهم مع نَفْسِيَّةِ أَحْدَاثِ المعركة، كما يُسَوِّغُهَا النقد
التاريخي الحديث بكل أبعاده... .

(١) وكان المقداد لا يصلي - أي إماماً - بالأس حوقاً من أن يحظر له أنه أفضل
من المأمومين، فيأثم... .

أما عندما يكون للرسول (ص) قولٌ ما... فَإِنَّ ما يُوحى به قولُ الرسول (ص) هو الذي اعتمدناه اعتماداً قاطعاً...

فَمَثَلًا، جاء في رواية أن الذين حاموا عن الرسول (ص)، في غزوة أحد ثلاثة: علي بن أبي طالب، وأبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف...

بينما تقول رواية ثانية: إنهم أربعة عشر...

كُلُّ واحدةٍ من هاتين الروایتين تدفع بالأخرى... ولكن بينهما قاسماً مشتركاً هو: الدفاع عن رسول الله (ص)... إذن، فالدفاع عن الرسول (ص) لا خلاف عليه... وإنما الخلاف على العدد... فبأي الروایتين نأخذ؟؟

قد تتطاول الرواية الثانية أمامنا سائلةً برأسها وكأنها تقول: خذوا بي...^(١).

ولكن بضع كلمات نسمعها من الرسول تُسقطها دُفعة واحدة...

يقول علي بن أبي طالب (ع) لزوجته فاطمة بنت رسول الله (ص)، بعد الرجوع من «أحد» إلى المدينة: اغسلي هذا السيف من الدماء، فوالله، لقد صدقني اليوم...

فيقول له رسول الله (ص): إن كان صدقك، فلقد صدق معك، أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف..

(١) لا سيما وبين أفرادها الأبطال الثلاثة المذكورون في الرواية الأولى.

فَهَلْ يُمَكِّنْ، أَنْ نَرَى أَحَدًا، بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ النَّبَوِيِّ، يَرْتَابُ،
فِي أَنَّ الَّذِينَ دَافَعُوا عَنِ الرَّسُولِ (ص) كَانُوا ثَلَاثَةً، كَمَا جَاءَ فِي
الرَّوَايَةِ الْأُولَى ٩٩(٢).

وهناك، رواياتٌ قليلة، أغفلناها... لأنها لا تثبت أمام
النقد، علميًا كان، أو عقلائيًا، أو عقائديًا، وإننا لَنُجْزِمُ، أَنَّ
هذه الروايات، لم تكن لولا سيطرة الحكم القرشي الخاضع
للعصبية القبلية...

على هذا الأساس المُمَحَّص، المنفصل من وثاق الجمود...
نُقدم: المقداد بن الأسود الكندي للأجيال الحاضرة والقادمة:

سَيِّفَ جِهَادٍ أَحْمَرِ الْجَلْبَابِ...
وَشُعْلَةً عَقَائِدِيَّةً...
وَمَلَكًا نَوْرَانِيًّا، يَغْتَبِطُ بِهِ الْفَرْدَوْسُ الْأَرْفَعُ...

سوريا - جبلة محمد علي اسبر

(٢) روى يحيى بن سلمة بن كهيل، قال: قلت لأبي: كم ثبت مع رسول الله
يوم أحد؟ قال: إثنان. قلت: من هما؟ قال: علي وأبو دجانة (راجع
شرح النهج لابن أبي الحديد - المجلد الثالث - الجزء (١٦)، (١٧) صفحة
(٤٢١)، طبع دار الفكر - بيروت ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م).

الْقَضَاءُ

المقداد بن الأسود

٣٧ق.هـ - ٣٣هـ.

٥٨٧ - ٦٥٥م

نسب المقداد:

هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة، بن ربيعة، بن ثمامة، بن مطرود، بن عمرو، بن سعد، بن ثور، بن ثعلبة، بن مالك، بن هزل، بن قابس، بن رويم، بن القين، بن الهون، بن بهراء، بن عمرو، بن لحاف، بن قضاة، ويكنى: أبا معبد، حليف بني زهرة، المعروف، بالمقداد بن الأسود، نسبةً إلى الأسود، بن عبد يغوث، بن وهب، بن عبد مناف، بن زهرة... لأنه تبنّاه^(١)...

ولادته:

يصيب والده، عمرو بن ثعلبة دماً في قومه اليمن... فيلحق «بحضرموت»، ويحالف قبيلة «كندة»، فكان يقال له «الكندي» ويتزوج منها امرأة حرة الفضائل، فتلد له المقداد عام «٣٧» قبل الهجرة المحمدية^(٢)...

(١) كتاب الطبقات: الأزدي - القسم الأول، ص ٣٧/ ط. وزارة الثقافة

بدمشق ١٩٦٦.

(٢) هذا التاريخ على أساس أنه عاش سبعين عاماً كما يروي أكثر المؤرخين.

نشأته:

وفي أحضان «حضر موت»^(١) ذات الجبال السامقة، والوديان السحيقة، والخضرة الصافية، والمناخ الحار، ينشأ المقداد، قويُّ البنية، صلب الساعد... وعندما يستوي يافعاً، ينبت خلاف بينه، وبين أبي شمر بن حجر الكندي... وعلى أثر ذلك الخلاف، وسعياً وراء حَدْسٍ غامضٍ يحتفظ به سرّاً حميماً لديه، منذ حين... يجيء والديه، فيخلو بهما طويلاً، وفي هذه الخلوة، يدور حوار هادئ، ينتهي باتفاق الأسرة على أمر، تدفنه نجوى في خبايا الصدور...

هجرة المقداد إلى مكة:

ثم يمضي المقداد بعد ذلك إلى مكة، يتحدث المصاعب الوعرة، المضنية... ولكن، لماذا اختار مكة على كثرة القبائل التي سوف يتجاوزها، وكلها تفتح للفتى القضاعي مضاربها إذا أراد؟؟؟

هل كان على موعدٍ مع الرسالة المحمدية، شأن سلمان، وأبي ذر...؟؟؟

لنمسك القلم عن إصدار حكم ما...، ولنتمهّل قليلاً،

(١) حضر موت: منطقة جنوبي شبه الجزيرة العربية، على خليج عدن، وبحر عمان (اليمن الشعبي الآن)، تتألف أرضها من سهل ساحلي، وهضبة داخلية... فيها عدة أودية، وسميت حضر موت، باسم (حضر موت بن حمير، بن يعرب، بن قحطان، راجع سفر التكوين - الإصحاح العاشر، الآية (٢٦).

فمجرى الأحداث، سيكشف لنا عن الغاية التي اختار من أجلها مكة...

في مكة - صفة المقداد:

وفي ضحى يومٍ يتوقد فيه الهجير سعيراً، تُبصر مكة شاباً غريباً، فارغ القامة، فاتح السمرة، أعين، مقرون الحاجبين، أقنى، طويل الأنف، كثير شعر الرأس، يأوي إلى ظلال بيت الله الحرام، يستريح من سفرٍ مُجهّد... بيّد أنه لا يكاد يتنسم أريج الراحة حتى يأخذه نوم عميق، يستيقظ منه قبل غروب الشمس...

ويجلس هنيئة ينظر حوله، ثم تمتد يده برفقٍ إلى جراب يتأبطه، فيفتحه... ويتناول منه حباتٍ من التمر، يُسكت بها جوعه اللافح... ثم يقوم، فينتهي إلى زمزم، فيتناول بيديه غرفة من الماء يشربها عبّاً... وينطلق، بعدها يتجول في هذا العالم الجديد الذي لا عهد له به من قبل.

ويدور في مكة يتفحص كل ما تقع عليه عيناه النابهتان. فيراها تتوهج بحركة تجارية صاحبة^(١)...

هنا حوانيت ضاقت سَعَتُها بالبضائع الشامية الفاخرة...

(١) كانت «مكة» مُلتقى القوافل التجارية إلى: اليمن، والحيرة، والشام، وكانت تتصل بتجارة العالم عن طريق البحر الأحمر القريب منها، وتقع مكة على الدرجة (٢١-٢٨) من العرض الشمالي، وعلى الدرجة (٣٧ و٥٤) من الطول الشرقي وترتفع عن سطح البحر نحو (٢٧٩) متراً، وموقعها وسط العالم (أي أنها مركز اليابسة في الكرة الأرضية) مجلة الفيصل، عدد تموز ١٩٧٧، ص (٣٥).

وهناك حوانيت تعمرها البضائع اليمنية الزاهية^(١)...

وأخرى فيها من بضائع الحبشة... و... و... ويعلم أن
هاشم بن عبد مناف جد الرسول، وبطل الإيلاف^(٢) هو الذي
قاد لقريش هذه النعم...

ويشاهد مخازن لبيع الخمور... ومكاتب للمعاملات
الجمركية... وأمكنة للمضاربات النقدية...

ويرى وفوداً كثيرة، تنصبُّ جداولَ في تلك الأسواق، فمنهم
من جاء ليتفرج... ومنهم من جاء يشتري...

(١) راجع أسواق العرب في الجاهلية: سعيد الأفغاني. وراجع، النظم
الإسلامية: المستشرق الفرنسي، غود فروا، ترجمة، د. فيصل السامر...

(٢) الإلاف، والإيلاف: العهد. يقول أبو هلال العسكري: كانت قريش تجاراً،
وكانت تجارتهم لا تعدو مكة وما حولها، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى
الشام فنزل بقيصر، وكان يذبح كل يوم شاة، ويصنع جفنةً ثريد ويدعو من
حوله، وكان من أتم الناس وأجملهم، فذكر ذلك لقيصر، فأحضره، فلما رآه
استجهره (أي استعظمه) وكلمه فأعجب به، فلما رأى مكانه عنده قال: أيها الملك.
إن قومي تجار العرب، فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً تؤمنهم، فيقدمون عليك بما
تستظرف من أمتعة الحجاز فتكون أرخص لكم، فكتب كتاب أمان لمن
يُقبل، فخرج هاشم به، فكلما مرَّ بحيٍّ من العرب أخذ من أشرفهم، إلأفاً
(عهداً) حتى قدم مكة، فأتاهم بأعظم شيء أتوا به قط بركة، فخرجوا بتجارة
عظيمة، وخرج معهم هاشم يجرهم، ويوفيههم إلأفهم حتى ورد بهم الشام،
وفي ذلك يقول قائلهم:

تَحْمَلُ هاشم ما ضاق عنه وأعيان أن يقوم به ابن فيض

ثم خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن، فأتاه من ملوكهم عهداً لمن
اتجر إليهم من قريش، (راجع، أبو هلال العسكري: الأوائل - القسم الأول
صفحة (١٨) و(١٩) طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٥).

ويرى سوقاً، أطلقوا عليها اسم «سوق النخاسة» - في هذه السوق يباع العبيد والجواري، الذين جلبهم التجار من: الحبشة، والروم، وفارس...

ويرى أثرياء مكة، يأتون تلك السوق، يُصغون إلى نداء تجار الرقيق... ثم يتقدم أحدهم فيجس بعينه، ويده، البضاعة الأدمية، فإذا شاهد ما يرضي رغائبه، نقد التاجر الثمن الذي يتم الاتفاق عليه... ثم يعود إلى داره، ومعه صيده الدول... وعند المساء، يرى الرجال يقصدون نوادي الميسر... يقضون فيها الليل مقامرين...

ويرى عمراناً فحماً، يرى الدور مؤلفة من: طابقين، وثلاثة، وأكثر، تحيط بها الشرفات الجميلة، المزخرفة...

ويرى الفنادق العديدة لنزول الغرباء من التجار، وغير التجار... رأى شيئاً جديداً لا تعرفه حياة البادية... ولم يره في سوق الرابية بحضرموت^(١)...

وبعد تلك الجولة الاستطلاعية، يروح إلى بيت الله الحرام، فيرقد إلى جواره...

وفي الصباح يستيقظ نشطاً باكراً، فيمضي كيومه السابق، يتمتع بمناظر هذا العالم المكي، الذي جعلته تجارته الواسعة

(١) كانت هذه السوق تقوم في رابية بحضرموت فتعرف أيضاً بسوق الرابية، من منتصف ذي القعدة إلى آخره من كل عام. راجع، سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط. ١٩٧٤، صفحة (٢٧٥ و ٢٧٦)، وراجع المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، جزء (٢)، ص (١٦٥).

زائراً بكل مشتهيات الحياة...

والى جوار البيت العتيق يعود، كلما صَبَا إلى الراحة...
ويَلْجَأ إلى جرابه، عندما تحرقه حرارة الجوع، ليخمد أوارها
بحبات قلائل من التمر...

ويجلس يوماً إلى ركن في البيت الحرام يُقَلِّب فيه بصره...
ما أقبح ما يرى!! أصنام من حجارة، يتخذها الناس
أرباباً...

هذان رجلان يسجدان أمامها؛ ياللهلل المرعب!!
ويضع يده على الأرض لينهض هارباً من هذا المنظر
الدنس، وإذا اثنان يأتیان، ويجلسان قريباً منه.. ويعكف
الرجلان على بعضهما يتحادثان.

اتحاد قبلي:

قال أسامة: هذه هي المرة الخامسة التي أنزل فيها مكة.
لأبيع، وأشتري.. ولي هنا أصدقاء من التجار السادة، أبرزهم
أبوسفيان الأموي، أحد أسياد قريش...

- إذن، لقريش سادة كثيرون..

- أجل، يا أبا الليث!! إن قريشاً مؤلفة من قبائل، ولكل قبيلة
رأس يمثلها، وترجع إليه فيما يَجِدُ لها من شؤون.. وكُلُّ منهم
يقوم بالوظيفة التي اتفقت الجماعة على إسنادها إليه، في
السلم، والحرب...
- ألا يختلفون؟؟

- كلا. فكلُّ منهم يحافظ على مصالحه الذاتية... وعلى مصالح قبيلته...

- وكيف اتفقت هذه القبائل على رؤسائها، وأعطتها حقَّ التحكم في أمورها؟؟

- إن رؤساء القبائل هؤلاء، تحت أيديهم الثروات الضخمة، وهذه الثروات، هي التي تُقْعدهم في سُدَّةِ الرئاسة...

- وما هو مسلك هؤلاء الرؤساء مع الذين هم أقلُّ منهم ثروة؟؟

- إن الفقراء المستضعفين من قبائلهم، وغير قبائلهم، محرومون، مطحونون...

كل نعيم الدنيا للأغنياء من قريش، وهذا الوضع، جعل مجتمع قريش طبقياً، صرفاً...

هنا سادة أعلون، متسلطون، وفقراء ومساكين، مُسْتَغْلَوْنَ بائسون...

- وعلى أي وجهٍ يستغل الأقوياء الضعفاء؟؟
- إنهم يتخذون منهم عمالاً، فمنهم من يرسلونه مع القوافل التجارية، ومنهم من يرعى الأنعام، ومنهم من يعمل عبداً في البيوت، ومنهم من يشتغل في تجاراتٍ بسيطة، تحت هيمنة الكبار... ولكنَّ الأجر الذي يدفعونه إليهم يسير، لا يكاد يمسك لهم رَمَقاً...

- وإذا لم يَجِدْ أحدهم عملاً فماذا يصنع؟؟
- يجوع، ويعمرى، وإذا طال زمن البطالة، فإنه يموت جوعاً، وقد يضطر الجوع أحدهم، أن يرهن ابنته، أو زوجته، عند

المرايبي... فإذا عجز عن سداد ما عليه من ديون عند انقضاء الأجل المضروب، يصبح هو عبداً للمرايبي أو يأخذ المرايبي زوجته^(١)...

- هذا، فطبع، مريع...
- أجل، هو كذلك، ولذا ترى حقداً جارفاً، يخبثه هؤلاء، لكبار الأغنياء الذين يسرقون جهودهم، ويستذلونهم...
- ألا ترى، أن استمرار هذا الظلم الاجتماعي، سيفجر بين الفريقين صراعاً ساحقاً؟
- هذا، إذا، وُجد من يقود هؤلاء المحرومين في طريق الصراع...:

- وهل غنى هؤلاء جميعاً من التجارة، والرّبا؟
- نعم، لأن مكة بلد غير زراعي... وينبغي أن لا يفوتني أن أقول لك: إن بعضهم يثري عن طريق البغاء...

- عن طريق البغاء؟؟ كيف؟؟
- يشتري أحدهم الجارية، أو الجاريتين، ويكرههما على البغاء، ليجمع الثروة التي ينشدها، وهذه تجارة رابحة هنا في مكة...

- والتاجر الغريب مثلنا، ما يكون شأنه، لو حاول أحد التجار، أن يهضمه حقه؟؟
- لقد حدث مثل ذلك في الماضي، فنشأ حلف أطلقوا عليه اسم «حلف الفضول»

(١) راجع، أحمد عباس صالح: اليمن واليسار في الاسلام صفحة (٢٧)، تحت عنوان المعدمون.

- من قام بهذا «الحلف»، ومن دعا إليه؟؟ وما سببه؟؟
 - إن أول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب، أما سببه فهو: أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عن الزبيدي حقه، فاستعدي عليه الزبيدي الأحلاف: عبد الدار، ومخزوماً، وجمحاً، وسهماً، وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصي، وزبروه (أي انتهروه) ، فلما رأى الزبيدي الشر، ورأى أن حقه سينتهي إلى ضياع، أوفى على جبل «أبي قبيس» عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح فأعلى صوته:

يا آل فهر! لمظلوم بضاعته بطن مكة، نائي الدار والنفر
 ومحرم أشعث، لم يقض عمرته يا للرجال! وبين الحجر والحجر
 إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
 فقام الزبير بن عبد المطلب فقال: ما لهذا مترك... .

فاجتمعت هاشم، وزهرة، وتيم بن مرة، في دار ابن جدعان، فصنع لهم طعاماً وتعاهدوا أن ينصفوا كل مظلوم وأن لا يغزو ظالم مظلوماً.

وكان بعدها، أن أنصفوا الرجل الزبيدي من العاصي بن وائل^(١).

(١) راجع ابن هشام: السيرة النبوية - المجلد الأول، صفحة (١٤٠، ١٤١) ط.
 ثلاثة - بيروت ١٣٩١هـ = ١٩٧١م، نقلاً عن «الروص الأنف» وسمي «حلف الفضول» لأنهم تحالفوا أن يردوا «المصول» (أي ما أخذ ظلماً) إلى أهلها، جرى هذا الحلف في أوائل القرن السابع للميلاد، بعد انتصار العرب على =

وحتى الآن ما يزال رجال هذا الحلف أحياء، يحمون
الغريب من مطاعم التجار...

فيقول أبو الليث: ولماذا لا ينقذ «حلف الفضول»
المستضعفين من القهر والحرمان؟؟

- إن القوة الثانية، التي لها النفوذ الأكبر، لم تقف موقف
المعادي لهذا الحلف، لأن لها في ذلك مصلحة، هي: سُمعتها
التجارية في الخارج، ولولا ذلك، لقاوموه، وكتموا أنفاسه...

- وهل كل رؤساء قريش يتصفون بشهوة حب السيطرة،
واستغلال الضعفاء؟؟

- كل الذين يملكون تجارات واسعة، يحملون معاني هذه
الروح، على أن أنبل قبيلة في قريش هي: بنو هاشم

- ألا يوجد بينهم تجار كبار، ومرابون؟؟
نعم، إن العباس بن عبد المطلب، وأخاه أبا لهب، كلاهما،
لا يتميز بشيء عن غيره من تجار قريش...

أما سيد الهاشميين، بل سيد بطحاء مكة، فهو أبو طالب بن
عبد المطلب، بن هاشم.

- أليس غنياً؟؟
لا، بل هو فقير، ولكنهم يعترفون له بالوجاهة التي ورثها
عن والده عبد المطلب، ولما عنده من خُلُقٍ سَمَحٍ، وعقل

= كسرى في وقعة «ذي قار» بين الكوفة وواسط.
وراجع تفصيل حلف الفضول في: الأغاني: الأصبهاني، المجلد السادس
عشر من صفحة (١٢٧ - ١٢٨) ط. بيروت ١٩٥٥.

حكيم، ونفسٍ كأنما صيغت من جوهر الفضائل... .

- إذن، فهذا نموذج وحيد، في هذه البلدة؟؟

- أجل، يا أبا الليث!!

- وينظر أبو الليث، فيرى المقداد، قريباً، ولم يكونا قد انتبها إلى وجوده من قبل، فيرتجف، ويمد برأسه إلى أسامة، ويلهث في وجهه: هل لدى قریش عيون تتسقط أخبار الغرباء؟؟

- ربما، فهل ترى ما يريك؟؟

- ويغمز الرجل بعينه جهة المقداد، وينظر أسامة فيراه بمرأى منهما وسماع، فيبشني إلى أبي الليث، يريد أن يفرغ في سمعه شيئاً، ولكنه، يرى المقداد، يتقدم إليهما، ويحييهما، ثم يسألهما: هل تسمحان لي بالجلوس معكما، فأنا رجل غريب، قدمت إلى هذا البلد، منذ يومين اثنين؟؟

ويصفو وجه الرجلين من غبار الخوف، والحذر، ويقولان له:

ممن الفتى؟؟

ليتنسب لهما... .

- أنت بهرائي، قضاعي إذن؟؟

- نعم.

- وماذا جئت تفعل هنا؟؟

- جئت أريدُ السكنى في هذه القرية، وفي حدسي، أنْ نبأ سماًوياً سينشق عنه بطنها، ينير عقول العرب، ويقضي على جاهلية الظلم... والأصنام... .

فينظر أبو الليث إلى أسامة - كلاهما ينظر في وجه صاحبه، والدهشة تتسعُ في عينيه، «نبأ من السماء، ينير العقول، يُخمد

نار الظلم... ماذا يقول هذا الرجل؟؟؟
 وَيُسِرُّ أُسامة إلى أبي الليث: أراه مجنوناً...
 ويشاهد المقداد خَيْرَتهما، فيدرك أنه قد زَلَّ زَلَّةً خطيرة...
 فإذا هو يقول لهما: معذرة، هذا ما يتراءى لي، وقد أكون
 مخطئاً...
 - ها، ليس في هذا الشاب جنون، ولكن به رثياً...؛
 ويسمح الرجلان للمقداد أن يجالسهما...
 ويُمهدان بالتحدث إليه بعبارات كأنها شهْدٌ يقطر عسلًا...
 ويحس هو بتلك اللمسات الحانية، تنبعث من نبرات
 صوتيهما الرقيقة...
 هل هما يحلوان معه لأنهما تَخَيَّلَا أن به مُسا من
 الشيطان؟؟ أم ماذا؟؟
 ويسألانه عن مَنبته «حضر موت»، فيجيب بطلاقة رزينة...
 فلا يريان به بأساً... فيعجبان...
 عنده عقلٌ ثمين... وفصاحة... ولكن، كيف يقول: إن
 مكة ستنبج عن نبا سماوي؟؟
 هل هذا صحيح؟؟ إنها لبشارة - إن صَحَّت - تفرش
 الوجود، بأزاهير الضياء الرحيم...
 وينظر الرجلان إلى الظل، فإذا ظل كل شيء قد صار مثله،
 فينهضان إلى موعدٍ لهما مع بعض التجار، ويقوم المقداد
 فيودعهما، ثم ينتهي إلى جدار البيت العتيق، يسند إليه
 ظهره...

المقداد والأسود

ويبدو المقداد في جلسته، وكأنه يرقب حركات المارة، بينما هو يسبح في تأملات وجدانية سانحة...

ويمر به «الأسود بن زمعة»، فتقف عيناه عليه باهتمام... ولكنه يمضي... ثم لا يلبث أن يرجع...

وعندما يدنو من المقداد، يقف، محدثاً حركةً في وقوفه... فينظر إليه المقداد... كُلُّ منهما ينظر في وجه الآخر متأملاً دون أن ينطق... وإذا الأسود يمشي إليه ويحييه، ثم يقول: أراك غريباً، أليس كذلك؟؟

- نعم، فأنا في هذه القرية منذ ثلاث ليالٍ.

- هل لك أحد في مكة؟؟ أو إنك قدمت في تجارة؟؟

- لا، ولكنني قصدت هذا البلد، رجاء العيش في جوار أهل

الله...

- مرحباً بك، ممن الفتى؟؟

وينتسب إليه... فيقول له الأسود: أنا الأسود بن زمعة من قبيلة زهرة القرشية، وإني لأتوسم في طلعتك بشراً، فماذا ترى، - وهذه الشمس قد غربت - لو دعوتك للنزول ضيفاً عليّ هذا اليوم؟؟؟

- أذهب معك...

- هيا...

ويسهل الأسود معه لطفاً، وكرماً، لقد طمع أن يجعل من هذا الشاب البهرائي، المكتنز الساعدين، حليفاً له...

وينام المقداد في دار الأسود، وعند الصباح يجلس إليه،
يُفرحه بطلاقة وجهه... وبعد حديثٍ قصير يقول له: إن العيش
يعسر على الغريب هنا، إلا إذا تحالف مع قبيلة قريشية تُلقِي
عليه أفياء حمايتها...

- علمتُ هذا...

- هل يجمل عندك أن أعقد بيني وبينك حلفاً؟

فيقول المقداد بلا تردد: نعم.

ويُعقد الحلف، ويمضي به الأسود إلى أندية قريش، ليعلم
الجميع أن المقداد صار حليفاً له..

وتبدأ الأيام تهبط في أقبية الزمن، والحال رخية، والوثام،
بين الرجلين، عروة وثقى لا انفصام لها...

ويلاحظ الأسود أن المقداد يذهب عند صعود الشمس من
الأفق الشرقي... وعند انحدارها للمغرب، يتفقد وفود القادمين
إلى مكة، وفي كل مرة يعود، وفي وجهه قلقٌ مقطب...

ما باله؟ هل هو يبحث عن شخصٍ ينتظر مقدمه؟

قدوم والدي المقداد - وفاة أبيه

زواج الأسود من أم المقداد - تبنيه إياه

ويحترم إحساسه فلا يسأله؛.. وذات مساء يراه عائداً، ومعه
رجل وامرأة، وابتسامة الهناء، تنور في ثغره...

ما أخصب فرحته!! من هذان اللذان يصحبانه، وكلاهما

نديُّ الوجه بالحبور؟؟

ويصل المقداد، فيقول لحليفه الأسود بكلمات زاهيات:
هذان، والداي، قادمان من حضرموت...

ثم يقول لوالديه: هذا حليفي الأسود، الذي حدثكما عنه،
عندما التقينا...

ويرحب الأسود بهما، ويفرد لهما غرفةً في داره يسكنان
فيها...

بيد أن فرحة المقداد لا تدوم طويلاً... لقد نزل بأبيه مرض
مفاجيء... لم يتركه حتى ضمه إلى مواكب الغابرين...

ويبكي المقداد أباه... وينزل الحزن بالأم كارثةً محطمة..
ويواسيهما الأسود أصدق ما تكون المواساة.

ويوماً بعد يوم، يشفي الزمن جراح الفاجعة في قلب المقداد
ووالدته..

وإذا المقداد يتفرس شيئاً طرياً... في حليفه الأسود بن
زعة..

رآه - بعدما هدأت عاصفة المصيبة - يزورهما، اليوم، بعد
اليوم...

رآه، يدخل البيت ظرفاً، ونعومة... ويخرج رِفَةً، وكياسةً،
ورأى والدته تطمئن إليه ببساطةٍ فطرية..

وتتوالى الأيام، وزيارات الأسود البُضّة لا تنقطع، وأحياناً كان
يحمل هدايا سَخِيَّةً...

ثم ماذا؟؟

ثم، إذا سِرُّ يَتَكشَّف... إنَّ الأَسودَ عالقٌ بحبِّ والدة
المقداد، ذاتِ الجاذبية السمراء... و...

وهوذا قد جاءه ذات مساء، يصارحه بحبه الأبِّي، النقي...
وهكذا تصدق فراسة المقداد..

لا ريب أنه قال للمقداد: أنتما في هذا البلد بحاجةٍ إلى
تخليص حياتكما من قسوة العيش، وجفافه... وأنا غني...،
ولاني قويٌّ على أن أَصَبَّ عليكما مناعمَ الدنيا صَبًّا...
سنعيش أسرةً واحدة، يُغدِّقُ عليها الحبُّ، والرفاءُ، محاسنه،
وأطايه..

وما يزال بالمقداد، المرة، بعد المرة، حتى يوافق، إذا كان
ذلك يَحْظَى من والدته بالرضى.

وتوافق الأم بعد تردد، فيتزوجها الأسود^(١)، ثم يُعلن تبنيّه
للمقداد، فيصبح اسمه: المقداد بن الأسود الكندي^(٢)...

إسلام المقداد - تعذيبه في الله

ويدخل الأسود يوماً على زوجته الكنديّة، فيراها ساهمةً
تعيش عالم نفسها الداخلي... فيتساءل ما بها؟؟ وتسمع
كلمته.. فترتعد للمفاجأة، وتلتفتُ إليه تقول له: أنت هنا؟؟

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، صفحة (٢٠٤ و ٢٠٥) طبع معهد المخطوطات
بجامعة الدول العربية، طبع القاهرة ١٩٥٩.

(٢) ظل حاملاً هذا الاسم حتى نزل قوله تعالى: ﴿ادعوهم لأبائهم﴾، فصار
يدعى: المقداد بن عمرو.

- نعم .
- منذ متى؟؟
- منذ برهة قصيرة . .
- وأنتِ، ما لي أراك قابعةً في أجواء عالم آخر؟؟ هل نزل بك
ما يزعجك؟؟؟
- كلا .
- إنني أرى في عينيك اضطراباً . . . و . . .
- المقداد .
- ما باله؟؟
- أرى أن تغييراً كبيراً قد طرأ عليه . .
- لعله انغمس فيما ينغمس فيه الشباب الذين في سنه . .
- لا، إن المقداد ما كان يوماً عابثاً، لاهياً، ولكنني سمعته
يُرتِّل كلاماً عجباً . . .
- كلامٌ لو كان للسحر طعمٌ، لكان أطيبَ من السحر . . .
- وله رائحةٌ، لو كان المسكُ شخصاً وتَسَمَّها لانتعش . . .
- وليقاعٌ موسيقيٌّ نابضٌ . . . فأتين . . .
- ويحك!! ماذا تقولين؟؟ أعيدي عليّ كلماتك .
- هوذاك، إنه أسمى من أن يخضع لوصف الوصفين . .
- ألم تحفظي منه شيئاً يا أم المقداد؟؟!!
- بلى، حفظت منه عبارات قليلة . .
- هيا، فأسمعيني إياها
- بسم الله الرحمن الرحيم .
- ﴿ يا أيها المدثر. قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبِّكَ فَكْبِرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ.

والرجز فاهجر ﴿١﴾

- حقاً إنه كلام مُعجز، ولكنه سَيُطْلَع على ابنك وبالأ...
- يُطْلَع عليه وبالأ... لماذا؟؟ قل لي، لقد أَلْهَيْت في خاطري
فبراماً

- ما أرى إلا أن ابنك قد صبأ...
- صَبَأاً؟؟ كيف يصَبَأُ؟؟ ماذا تعني؟؟ أوضح لي.
- منذ أشهر، قام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
الهاشمي، يزعم أن الله اصطفاه نبياً ورسولاً للعالمين... وأن
جبريل الملك، ينزل عليه بوحى من الله، هو: القرآن، وإن ما
حفظته، آيات من قرآن محمد وأرى، أن ابنك، قد آمن بنبوته،
ودخل في دينه.

- ووقفت المرأة، وقد بَرَّقَ بصرها تقول: رسول، اصطفاه
الله... وقرآن... ها، تذكرت...

- تذكرت؟؟ ماذا يابنة كندة؟؟
- قال لنا المقداد يوماً: إن نبياً سوف يظهر بمكة، وهذا ما
جعلته يهاجر إلى هنا، ويطلب منا أن نلحق به.

- ولكن، كيف عرف المقداد هذا؟؟
- لا أدري... لا أدري...
- يا للهول!! وتتوتر خطوط التجهم في وجهه.
ويحتوي الذعر قلب الأم، فتمسك بكتفه، وتقول له: أي
هول؟؟... ما لي أرى الظلمات تتكاثر في وجهك؟؟

(١) سورة المدثر: الآيات، (١، ٢، ٣، ٤، ٥).

فيتنهد متوجعاً، ويقول: بالأمس تعاقد زعماء قريش في «دار الندوة» على مقاومة دعوة محمد بن عبد الله... وتعذيب من يؤمن بنبوته... أو يرتد عن دينه...

ويصمت كلاهما... كلاهما يمسك الصمت لسانه، وحركاته... أحقاً صَبَّاً المقداد؟؟

ويجلس الرجل، وتجلس الزوجة أمامه، وقد انفتحت في ذهن كليهما، أن يبحثا معاً إسلام المقداد، لينجوا به من جحيم قريش، ولكنهما لم يكادا يتطارحان وجوه الرأي، حتى يسمعا لغطاً في الخارج، وصوتاً يهتف: أين سيدي الأسود؟؟

قال الرجل: إنه صوت عبدنا نعمان، فماذا حَلَّ به؟؟

ويناديه: أنا هنا يا نعمان!!

- أدرك ابنك المقداد يا سيدي!! لقد مَزَّقُوا جلده بالسياط...

وتصرخ المرأة: واولداه!!

ويسرع الأسود إليه يقول له: الويل لك، من فعل به ذلك؟؟

- أبو جهل، وأبو لهب، وأمية... و...

- لماذا؟؟

- جاء النادي وصرخ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن

محمداً رسول الله...

وشرع يتلو آيات من «أساطير» محمد، وإني لأذكر، أن أبا ذر

الغفاري فَعَلَ مثله منذ أيام قريبة، ولو لم يستنقذه منهم العباس

بن عبد المطلب، لذبحوه...

أسرع إلى المقداد يا سيدي!!! أدركه قبل أن يموت،
واحسرتاه عليه!! لقد رأيْتُ من يجلده بالسياط، ورأيْتُ من يأخذ
بناصيته، ويطرحه أرضاً... ورأيْتُهم يَسْحَبُونَهُ من قدميه...
أسرع يا سيدي أسرع، قبل أن يسلخوا جلده...

- لعنك الله عبد سوء، أما استطعتُ أن تُسرَّ إليَّ بذلك،
ويهم به يضربه، ولكنه يرى أم المقداد تتداعى أمام ما تسمع
وتسقط على الأرض، فيسرع إليها، يُنهضها من سقوطها، فلا
يستطيع... إن أعضائها تتشنج، ثم هي ذي تُصاب
بالإغماء... فيقف شعره خوفاً عليها، وترتفع نبضات قلبه،
حتى أنه لسمعها تضجُّ في صدره... ويطلب ماء يرش
وجهها... فتفتح عينيها الدابلتين، وتقول بصوت خفيض:
ولدي!!

- لا تجزعي يابنة كندة، ها أنا ماضٍ لأعود به إليك، فارفقي
بنفسك...

ويوكل بها من يحوطها بالرعاية، والعناية، وينطلق إلى السادة
من قريش... وبعد جهد عسير ينقله من لهوات العذاب...
ويمضي به إلى أمه يقول باسمًا: ها قد جئتُك بالمقداد ممتكًا
عافية...

وتنظر الأم، فترى المقداد إلى جوارها... فتهدأ بابلها...

ويتضحك المقداد ويقول: أنا بخير يا أماء!! فلا تخافي،
ولا تحزني، وقري عيناً، وينسحب الأسود من الغرفة ويتركهما
معاً..

ولا يزال المقداد يرخص لها في الحديث... يلمس بمشاعر
الحنان أعصابها الخائرة، حتى يستل منها وَلَهَّهَا، ويضعها على
رَبْوَةٍ من سَكِينَةِ النفس، ثم يقول لها: والآن عليّ أن أستحمّ،
وأغبر ثيابي.

وتنهض الأم... فتعدُّ له الماء، وتحضر الثياب، فيطلب
إليها متلطفاً: أن تتركه وحده، كي يجنبها منظر دروب السياط
في جسده، فتتركه...

ويبدأ هو.. يرش الماء على الثوب اللاصق في جسمه من
تجمد الدم... ثم يرفع الثوب عن الجراح، ويغسلها بحدِر،
وبعد الفراغ من الغسل، يلبس ثيابه، ويمضي إلى أمه يفوح منه
عبير البشاشة، كأن لم يمسه سوء...

كان يمازحها باسماء، وحرارة الألم تهب ملء وجوده لفح
جمر، ولكنه، يتجلد... ويتجلد...

وعندما يطمن خاطر الأم تسأله: لماذا فعلوا بك ما فعلوا؟؟
يتفتق ثغر المقداد عن ابتسامة وردية، ويقول لها: لقد آمنتُ
بنبوة محمد بن عبد الله، ودخلت في دينه الذي هو دين الله.

- دين الله؟؟

- نعم، يا أمي!!

- وكيف، ومتى وصلت إلى محمد يا ولدي؟؟

- أخذني إليه علي بن أبي طالب (ع) منذ حين، فكنت سابع
رجل يشرق الإسلام في قلبه بدماء كاملاً.

- حسن، تستطيع أن تستريح الآن يا بني، وستتم الحديث

في الوقت المناسب...

وترك له أن يستريح كما يشاء، ولكنها تعجب من طاقته
الروحية... تعجب من إخلاصه لعقيدته - ذلك الإخلاص الذي
يرى معه جسده الممزق، وكأنما هو يتقلب في نعيم علوي...

* * *

وتمضي الأيام ماسحةً جراحَ المقداد بأنامل الشفاء
الرفيقة... ويبدأ بالتغيب عن البيت...

ويعود الاضطرابُ إلى إحساس الأم كلما غادر البيت، ولا
يقر اضطرابها حتى يعود...

كانت تخشى أن يتصدى ثانية لقريش... فتتصدى هي له
بمقامع من حديد...

ومع خوفها، لم ترض أن تنضح أحاسيسه بقطرة من معين
نصائحتها، خشية أن تسبب خدشاً لكبريائه...

تركته يرسم مستقبله بنفسه... وهكذا فعل والده الأسود...

وتأخذ دائرة الرسالة المحمدية بالاتساع...

لأنما هي شجرة، أصلها ثابت، وفروعها تنمو بانتظام...

كان أكثر الناس انجذاباً إلى ريحانها جماهير الشعب التي
يسرق نعيمها عسف المراي؛... وأرباب الغنى...

لقد وَجَدُوا مُخَلِّصاً لهم من: الجوع، والتعاسة، والمدة -
وَجَدُوا الضحى المتألق بأنفاس الحرية...

إن رسالة محمد تجعلهم يشعرون بإنسانيتهم، إذ تسوي

بينهم، وبين السادة من قريش...
وتجعلهم يشعرون بكرامتهم، لأنها تربط قلوب كل من
يعتقها برباط: الإخاء، والمحبة...
أما الأغنياء على اختلاف ألوانهم، وطبقاتهم، فهؤلاء
يشمخون في طريق تقدمها جداراً من السيوف الصارمة...

الله يأمر رسوله أن يجهر بالدعوة علي بن أبي طالب أخ الرسول ووصيه إسلام والدة المقداد - طغيان قريش

ويأتي المقداد يوماً من رحلته الصباحية، وقد نُضِر وجهه
صفاء...
إن الراحة النفسية لتَشْرِبُ من عينيه ألقاً عذبا...

- هيه، هل من جديد لدى المقداد؟
- أجل يا أمي!! إن الله أمر رسوله أن يجهر بدعوته، قال له:
﴿اصدع بما تؤمر﴾...
وقال له: ﴿أنذر عشيرتك الأقربين﴾...

فدعا بني هاشم، والمطلب، وقال لهم: إني رسول الله
إليكم، وإلى الناس أجمعين، فأمنوا بالله وحده، ولا تشركوا
به...

فمنهم من صمت، ومنهم من رفض، وكان رأس الرافضين
عمه أبو جهل الذي قال له: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟

وقال لهم، وكرر ذلك القول ثلاثاً: أيكم يؤازرنني على هذا الأمر، ويكون: أخي، ووصيي، وخليفتي من بعدي؟؟

وَكُلُّهُمْ صَمَتٌ، وكان علي يقول في كل مرة: أنا يا رسول الله!!

فأخذ الرسول بيد علي في المرة الثالثة، وقال لهم: إن هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له، وأطيعوا... (١).

- وماذا فعلوا بعد هذا؟؟؟

- ضحك أبو لهب، وقال لأخيه أبي طالب ساخراً: اسمع لأبنك، وأطعه...

- ولماذا يعارضه أبو لهب هذه المعارضة الضارية؟؟

- يا أم المقداد!!! إن أقطاب الغنى يعارضون رسالة محمد، لأنها تحطيمٌ لطبقتهم المستغلة، المستعلية، فهي تحرم الربا، والاحتكار، وكنز الذهب والفضة، وتجعل للفقراء، والمساكين، حقاً في أموالهم، وأبو جهل، وأبو لهب، وأبو سفيان، وأمّية بن خلف... ومن هو في درجتهم يأبون هذا...

إنهم يرفضون بعزم عنيد كل مبادئ محمد، الإلهية، والإنسانية...

(١) راجع، تاريخ الطبري: القسم الأول، صفحة (١١٧٢ و ١١٧٣) طبع مكتبة خياط - بيروت. وراجع: أبو الفداء: تاريخ المختصر في أخبار البشر - الجزء الثاني، صفحة (١٤ و ١٥) طبع دار الفكر - بيروت ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م. وراجع، ابن الأثير: الكامل - الجزء الثاني، صفحة (٣٩) طبع دار الفكر - بيروت ١٩٥٥، وراجع، الإمام أحمد: المسند - الجزء الأول - الصفحات (١١١ و ١٥٩ و ٣٣١). وراجع، الحافظ النسائي: الخصائص، صفحة (١٨)، والسيوطي: جمع الجوامع، جزء (٦)، ص (٣٩٢) الخ.

محمد يريد أن يطهرهم من خَبَثِ الظلم... الذي يمارسونه
على الجماهير الكادحة..

محمد يريد أن ينقذهم من وثنية الجاهلية البليدة..
محمد يريد أن يعلمهم كيف يحترم الإنسان آدمية أخيه
الإنسان... ويتعاون معه على خلق مجتمعٍ فاضل، كريم،
خالٍ من الشرور... وهم من أجل ذلك عليه ساخطون، وله،
ولمبادئه السامية يحاربون...

- لا جرم أنه موقف غريب...
- إن هؤلاء يا أمي لا يستطيعون أن يرتفعوا إلى الأفق
الإنساني النبيل، الجميل الذي يود أن يرفعهم إليه رسول الله،
لأن عقولهم متجمدة في إطار مصالحهم الذاتية... وأنايتهم،
وغرورهم...

قيل لأحدهم: إن رسول الله يدعوكم إلى الإسلام، فهل
تعلمين بم أجاب؟؟
قال: من رسول الله؟؟ وما الله؟؟ أمن ذهب هو، أم من
فضة؟؟

هكذا، خيالاتهم... تفكيرهم... مشاعرهم... كل
وجودهم متعلقٌ بهذين الحجرين: الذهب، والفضة.

- ولم يا بني؟؟
- لأنهما يتحولان معهم سَيِّطَرَةً على أرواح الجماهير؛..
واستعباداً لها؛.. وقهراً لإنسانيتها...
ويتحولان في مواخيرهم نساءً عاريات... وخموراً...
وميسراً... ومنكرات...

فهل يذرون هذا السلطان الأمرد، الألهي، ليؤمنوا برسالة
محمد التي ترى الناس سواسية كأسنان المشط...؟؟؟
ولكن الله سينصر رسوله، وسيعلم الظالمون أي منقلب
ينقلبون...

وتنظر الكندية إلى ابنها المقداد، وتقول له: هل ترون أنكم
ستكونون أسعد بالآ، بعدما صدع الرسول بدعوته؟؟؟
- كلا، فإن «قريش العدوان» ستفجر شراسةً، وشراستها
ستضع المسلمين في غواشٍ من العذاب المهيئ...
وتركض الأم إلى فتاها الوحيد، تضمه إلى قلبها، وتقول
بحنانٍ جازع: إني عليك خائفةٌ يا ولدي!!

- لا تخشي شيئاً يا أمي، فإن الصبر، والثبات اللذين
نستمدهما من: مبادئنا، وعقائدنا، سيجعلان من نارهم رماداً،
منطفئاً، بارداً... لا، لا تخافي، فإن كلمة الله ستكون
العليا...

والآن، ماذا ترين يا أمهه؟؟؟ أما حان لك أن تدخلني في
دين الله الأحد؟؟

- وماذا عليّ أن أفعل؟؟
- تقولين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول
الله، فيضوء قلبك، وعقلك...

وتتوقّف أم المقداد عن الكلام... فيجفّ قلبه، أترد
مطلبه؟؟ أتبقي كافرة؟؟

إذا كان والده الأسود لا يدخل في دين الله، لأنه من وجوه القوم، فما يمنع والدته؟؟

أتخشى غضب الأسود؟؟ إذا كانت تخشاه، فليبق إسلامها سرا..

وتنظر إليه، وإشراقة قلبها، تنعكس على وجهها، وتقول له: أراك تتحدث إلى نفسك.

- لم تردددين، يرحمك الله؟؟ إنه دين الله الذي ارتضاه لعباده... إنه دين العدالة، والمحبة، والقيم الأخلاقية الرفيعة...

- أريد أن أسألك: هل علي أن أذهب إلى رسول الله، لأعلن إسلامي أمامه؟؟
- كلا يا أمي!! تسلمين، وتكتمين إسلامك..

وتنطق الأم بالشهادتين، ويغمر الوجهين الهادئين... سحابة من ربيع النضارة... ويبيطان على سرر من جنة الرحمن.



ويبدأ الصراع الرهيب، العاتي، بين المسلمين، وبين طغيان «قريش»، صراع بين قوة ماردة تملك الذهب، والفضة، وكل أسباب الغلب، وفئة لا تملك إلا عقائدها الرحمانية... وبعضهم عبيد للسلادة الحانقين... ويصبر المسلمون، المستضعفون، على البلاء... يصبرون على نار السياط المجدولة، يصبرون على حمل الأحجار الثقيلة، الحامية... على صدورهم... يصبرون... يصبرون.

ويسرف أبو جهل وزبائنه في التعذيب، وفي نزوة غضبٍ
مريع، يقتلون والد عمار بن ياسر، وأمه، وهما يهتفان: أحد،
أحد^(١)...

إنها قوة الدين، واستبصاراته، تجعل الموت لديهم عذباً
فراثاً..



ويجلس عمار بن ياسر إلى المقداد في أمسية ركدت فيها
ملاحقة قريش لهم أياماً تباعاً، يتحدث إليه فيقول: إن طواغيت
قريش تعبوا من تعذيبنا... تبين لهم أنهم الضعفاء أمام
صلابتنا، لقد ذهب إلى رسول الله عتبة بن ربيعة يعلمه: أن
السادة من قريش أرسلوه إليه، ليقدم إليه عرضاً جواداً..

قال له: إن كنت تريد ملكاً جعلناك ملكاً علينا، وإن كنت
تريد ذهباً وفضة جمعنا لك، حتى تكون أكثر منا غنى، على أن
تترك ما تدعو إليه. ولكن عتبة يعود إلى رؤوس قريش، ليضع
في قلوبهم رفض محمد لمطالبهم، جمرة حقد لا يخبو
أوراها...

ومند البارحة وهم يطلقون رعوداً، وإن علينا أن نترقب وقوع
الصواعق على رؤوسنا...

ويضحك المقداد، ويقول: وما علينا، إن في كل وثبة سوط

(١) ياسر من عرب اليمن، نزع إلى مكة فاستوطنها، وتزوج جارية من بني
مخزوم هي: سُمَيَّة فولدت له عملاً وعبد الله. وحين اختار الله محمداً نبياً
أسلم عمار، وأبوه وأمه وأخوه، وكان الرسول يمر بهم وهم يعدبون فيقول:
صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

نفحة نعيم...

وتدخل أم المقداد عليهما لتقول: إن الأسود قادم، فيودع
عمار المقداد ويمضي..

ويصيح ظنُّ عمار، فقد جمع «السادة» عبيدهم الذين دخلوا
في الإسلام، وأصلوهم آلاماً، محرقة، مذيبة...

ولكن صلابتهم كبرت على كل عذاب...
إنهم يُعذبون... ويصلبون في حر الرمضاء، غير أن قلوبهم
كانت ندية أبداً بعطر السكينة...

إن كلاً منهم يشعر، - مع دخان الألم العابق في كل جارحة
منه - بشيء غامض... يحسه، ولا يقوى على وصفه...
هذا الشيء كان ينداح في الصدور، راحة، واطمئناناً...

ويلمس طغيان قریش ذلك... يرون أنهم عاجزون عن
إخضاعهم بوسائلهم الهمجية، بالغّة من العنف ما بلغت...
يا لها من غاشية مزلّلة تحل بساحتهم...!!
ولكن، ماذا؟؟ أينامون على نار هذا الضيم؟؟

إن المسلمين يزدادون كل يوم... وكثرتهم تعني جبلاً مفتولاً
من الموت يعتصر أعناقهم... فهل ينتظرون أن يموتوا
هكذا؟؟؟

ويصرخ أحدهم بحقد: تعالوا نذبهم جميعاً...

فيقول أبو جهل: بالأمس قتلنا والدي عمار بن ياسر، وأنزلنا
بعمار، والمقداد، وبلال، وخبّاب... و... و... ما هو أعتى من

الموت، وقد رأينا أن ذلك يزيدهم اندماجاً بعقائدهم.... وأذ
تعدينا لهم ذلك التعذيب الفاجر، لم يمنع أمثالهم من الدخول
في دين محمد، وهم يعلمون، أنهم سيُشَوَّن على صفائح
العذاب شيئاً...

ويقول أمية: لو وَزَّنا آلام حقدنا، وغيظنا مع ما ننزله بهم من
ويل فاسقٍ لتعادلاً...

ويصرخ بطيش: إلام نبقي حيارى، معذبين؟؟...
ويقول أبو لهب: بلاؤنا من محمد، ولو تمكنا من هضمه
لانتهى كل شيء... ولسلم لنا ترفنا الجسدي، والنفسي...

ويصمتون، ونار غيظهم تتمطى في جوانحهم غضباً مزبداً..
وينادي أحدهم: يا قوم!! كيف نقبل أن يكون عبيدنا أنداداً
لنا كما يريد محمد؟؟

كيف نترك زعامة قبائلنا لدين محمد؟؟

ويصرخ المرابون: ومحمد يحرم الربا، ونحن كيف نترك
الربا، وقد أطعنا الذهب، وأعطانا السيطرة على مجتمع مكة؟؟
ويستفخ المحتكرون حقداً، ويزمجرون قائلين: وهو يحرم
الاحتكار، وكيف نكون عظماء في قريش إذا تركنا الاحتكار؟؟

ويهتف الجميع هادرين: لا، هذا مستحيل، ولا قوة في
الدنيا تزحزحنا عن مقاعدنا...

حيرة أفعى تَتَمَلَّل في أذهانهم... تسافر في شرايينهم...

أبو طالب يحمي محمداً... وهم إن أشهروا سيوفهم على
-أبي طالب يثيرون حرباً بينهم، وبين بني هاشم، تأكل من-

تأكل، وتذر من تذرو ولا يدرون من يكون منهم وقودها...
 فقد تأتي عليهم هذه الحرب الخبيثة...
 وماذا هم واجدون بعد أنفسهم...
 وإذا هم اكتفوا بتعذيب المؤمنين بنوة محمد خسروا كل
 شيء...
 فهؤلاء الذين يعذبونهم، لا تؤثر فيهم سموم العذاب...
 إن طاقاتهم الروحية معين يرفده حُبُّهم لمحمد بتيار لا ينضب..
 ولا يكاد يتواري يوم، حتى يحرز محمد انتصاراً جديداً، بأن
 يدخل في دينه رجل، أو رجلاً...
 وما دامت هذه هي الحال، فإن النتائج واضحة أشرق ما
 يكون الوضع...
 ماذا يفعلون؟؟؟ أي شعب يسلكون؟؟
 حيرة أفعى تنهشهم، وتمعن في النهش...
 أيستسلمون لمحمد؟؟؟ وأي شأن يبقى لهم بعد ذلك؟؟؟
 أيتروا القيان، والخمور، والملاهي، والثراء المتبجح،
 والزعامة المتغترسة، والرفاه الحريري، والشهوات الجسدية
 البطرة، المسكرة؟؟؟

أيتروا كل هذه الممتع الشهية، الحالية، ليعبدوا إلهاً أحداً،
 ويغدو كلُّ منهم تلميذاً في جامعة محمد، التي تساوي بين
 الجميع، وتحرم عليهم غسل الشهوات التي يحيون لأجلها...
 لا، إنهم لا يرضون عن عبادة: اللات، والعزى، بديلاً،
 لأنها تحلل لهم حياة الخلاعة، والمجون، والفوضى، وكنز

الذهب والفضة، واستعباد جماهير الشعب، واستغلالهم...
وفوق هذا، فهي تخلع عليهم حلل الأسياد الجبارين...

إذن، فهم لها، ولا يعبدون سواها...
أما تعاليم محمد (ص) التي تفرض: الإخاء، والمحبة،
والتعاون...

أما جنة محمد وناره...
فهذه كلها زخارف، من قول، ساحر، بديع، عجيب...
وأما محمد نفسه، فسوف يجدون الوسيلة التي تستأصله من
دنيا الأحياء...

هكذا، سؤل لهم حب الاحتفاظ بمكاسبهم، وامتيازاتهم
الطبقية...

وهكذا، أصيبوا بشلل العقول أمام غرائزهم...
وأصروا على البقاء في غربتهم الجاهلية...
وأخذوا يتوعدون... ويهدرون... حتى تأجج ناديم بنار
الغضب...

ويسخر ابن العاص منهم ويقول: لقد أشعلتم ناراً لتحرقوا
فيها محمداً وصحبه...

ولكنكم لم تضرموها إلا بأنفسكم، ولم تحرقوا سواها...
ويقول خالد: هذا، والله، صحيح...

ويقف أبو سفيان، ويقول: لندع هذا الغليان الهادر، ولْيُؤدِّد
كل منكم ما يراه صواباً...

ويتفقون أن يمضوا إلى أبي طالب...

ويمضي وفد منهم إلى أبي طالب، ويعود الوفد إعصاراً
مدمراً... .

قالوا لإخوانهم: محمد لا يترك دعوته، ولو جعلوا الشمس،
والقمر، ملكاً له، وأبو طالب، لا يتخلّى عن حماية دين
محمد، ولو حاربه كل من في الأرض.

ويزأرون، سوف نرى...
ويندفعون أعاصير، تهدم، تحطم، تهيمن على النفوس،
ذعراً خانقاً، جائحاً... .

ويصمد المسلمون لثورة الأعاصير الطاحنة، حتى الرسول
الكريم (ص)، ضغطته الأعاصير ضغطاً... .

ولولا سيف أبي طالب يقف دونه جبلاً عزيز المرتقى، لانهى
محمد... . وانتهت دعوته... .

ويرى الرسول (ص) ذئاب الطغيان نزاعاً إلى شرب الدماء، فيطلب
من المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة... .

- نهاجر، وندعك نهياً لحراب الطاغوت، إننا نفضل أن
نصرع حولك... ؟

- بل تهاجرون، فأنا في حماية حصينة... .

ويقوم المقداد بن الأسود في نفر من صحبه فيقول وكلماته لا
تكاد تنتظم من حماسه الصاعد: يا رسول الله!! دعنا نفاجئهم
بسيوفنا في ناديم، فنقتل رؤوس الشرك... .

لقد كنا في عز، ونحن مشركون، فلما آتانا صرنا أذلة، فأذن

لنا بقتال هؤلاء...

فقال: كفوا أيديكم عنهم، فإنني لم أؤمر بقتالهم^(١).

الهجرة الأولى إلى الحبشة الهجرة الثانية

يمضي عدد قليل من المسلمين إلى الحبشة في الدفعة الأولى، العام الخامس للبعثة المحمدية (٦١٥م)^(٢)، وفي العام السادس (٦١٦م) يهاجر إلى الحبشة دفعة ثانية قوامها سبعون صحابياً، وصحابية، ومعهم المقداد بن الأسود.

تقول سيرة ابن هشام: وخرج مع المهاجرين إلى الحبشة من بهراء والمقداد بن عمرو، بن ثعلبة... بن بهراء... بن قضاة...^(٣)، ومن جدة^(٤) يركب المهاجرون من المسلمين السفن الشراعية التي تمخر بهم عُباب البحر الأحمر إلى أرض الحبشة، حيث أمرهم رسول الله.

ويسأل المقداد الملاح الذي يقود سفيتهم: هل تواجه مصاعب في ركوب هذا البحر؟

(١) محمد رضا: محمد رسول الله، ص (٢٠٦)، ط. ثانية، مصر ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م.

(٢) كانوا أحد عشر رجلاً، وأربع نسوة.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، المجلد الأول صفحة (٣٤٨) ط. دار إحياء التراث العربي، ط. الثالثة - بيروت ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

(٤) جدة: مدينة في الجزيرة العربية على شاطئ الساحل شرقي البحر الأحمر، تبعد عن مكة (٤٦ ميلاً)، طقسها حار ورطب (دائرة المعارف الإسلامية).

-إن في قاع هذا البحر «جبل المغناطيس»، لذلك، فإن السفن التي نستعملها خالية من المسامير، خشية أن يجذب المغناطيس المسامير فتتفكك السفينة...

إننا نكتفي بأن نربط الأخشاب إلى بعضها بجبال من القنب... ولكي نحفظ الخشب من تأثير ماء البحر، فإننا نغطي السفينة من الخارج بالدهون السميكة... ونحن لا نساfer في الليل، بل نُلقي سفننا مراسيها، عند جزيرة من هذه الجزر الكثيرة في هذا البحر، خوفاً من مخاطره...

ثم طفق يحدثهم عن الشعاب المرجانية الحمراء^(١) التي تنبت على صخور هذا البحر، فقال: إنها شبيهة بالغابات الكثيفة...

ويرى المقداد حينما كانت السفينة تمر قرب تلك الغابات المرجانية سمكاً كثيراً، متعدد الأنواع... ولكئله أعجوبة البحار في جمال ألوانه البراقة^(٢)...

وكان يرى هذه الأسماك تعوم وتنسبط تحت الماء على عمق قريب، متأنية حيناً، ومسرعة حيناً... وتدنو من السفينة حتى تكاد تلامسها، ثم تبتعد عنها، وطوراً تطفو على سطح الماء تختال برشاقتها، وجمالها.

ويسأل المقداد ملاح السفينة عن هذا السمك فيقول: إن هذا البحر أكثر دفئاً في فصل الشتاء... وأسمائه كالزهور تأملها

(١) ومن هنا ولأن فيه سمكاً أحمر سمي: البحر الأحمر.

(٢) جاء في الآية (١٢) من سورة الرحمن: يخرج مهمما للؤلؤ والمرجان

جيداً، فإنك ترى أن سمكاً منها له زعانف ذات شعاب بيضاء، وبعضها بلون البنفسج، له عيون زرقاء، وترى سمكاً صغيراً، له لون برتقالي، ذهبي، وسمكاً أحمر، وسمكاً ملوناً بالأبيض والأسود، إنها أغرب، وأجمل أنواع السمك في الدنيا^(١).

وأخيراً، يطل عليهم ساحل الحبشة، هذا الساحل الرائع الجمال، الذي يجتذب بهاؤه الناس من جنوب بلاد العرب...

ويسأل المقداد الملاح عن أرض الحبشة فيقول له: إنها بلاد جبلية غزيرة الأمطار، ينبع فيها النيل الأزرق، وهي غنية بالغابات، وساحلها هو الساحل الوحيد من بلاد إفريقية المطل على البحر الأحمر^(٢) وفيها بحيرة «أحاووس»، وفيها الهضبة التي يقول التاريخ: إن الطوفان عندما أغرق الأرض، لم ينجُ منه إلا رعاة كانوا فوق هضاب الحبشة^(٣)، وإيران^(٤) والمكسيك^(٥) وهملايا^(٦) واطلانطس^(٧).

-
- (١) راجع، مجلة الهلال، عدد أيلول ١٩٧٨، صفحة (١١٦) وما بعدها.
- (٢) راجع، دائرة المعارف الإسلامية، ومنجد الأسماء مادة «أثيوبيا». وراجع، موسوعة المعرفة المصرية المصورة، مجلد (١٥) صفحة (٢٢١٥).
- (٣) أنيس منصور: الذين هبطوا من السماء، ص (٢٥) ط. سادسة، بيروت، هضبة الحبشة قسمان: الهضبة الوسطى والهضبة الشمالية أعلى قممها أرس دهبان وارتفاعه (١٥١٥٨) قدماً = ٤٣٣٣ متراً.
- (٤) أعلى المرتفعات في سلسلة جبال إلهورز الإيرانية، حيث يرتفع جبل «ديماوند» ٦٢٠٠ م.
- (٥) أعلى قمم المكسيك جبل «سيتلاتيتل» وارتفاعه ٦٢٣٣ متراً - المكسيك إحدى دول أمريكا الوسطى.
- (٦) هملايا: واقعة شمال الهند، أعلى قممها أفروست، وارتفاعها (٨٨٨٨) متراً.
- (٧) اطلانطس: اسم قارة عرفت فيما بعد باسم قارة اطلانطس، أغرقها في أعماق البحر البركان الذي شهدته المنطقة في القرن الخامس عشر قبل =

وينزل المقداد مع صحبه على ساحل الشاطئ الفاتن...

ما أبدع ما يرون، جبال جرانيتية^(١) ترتفع تماثيل للجمال
الرائق... ومشاهد طبيعية زخرفت ألوان...

ويستقر الركب المؤمن في «أكسوم» حاضرة الحبشة.
ويقارن المقداد بينها وبين مكة، فيرى هنا حسناً طبعياً
ينسجم مع المناخ راحة للأعصاب القلقة...

أما «مكة» فهي بلدٌ غير ذي زرع، حبيسة جبال وشعاب،
يقل فيها هطول الأمطار، ولكنه يراها - مع قحطها - أجمل
بلدان العالم، لأنها تضم بين جناحيها محمداً رسول الله (ص)، منبع
الجمال الروحاني، الذي يهون عنده كل خصب... وكل
حسن...

ويبحث المقداد عن عمل فيجده... فالمسلم لا يجوز أن
يكون عالةً على أحد...

وفي كل مساء يزور جعفر بن أبي طالب، مع إخوانه،
يتذكرون الرسول العظيم... ويتذكرون قريشاً وطغيانها السفیه،

= الميلاد، وكانت تشغل المكان الذي يغطيه المحيط الاطلانطي، ولم يبق منها
غير جزر كناريا (راجع، الذين عادوا إلى السماء صفحة (٣٤) طبع دار
الشروق - بيروت، ط. أولى ١٩٧٧. أما العدد (٢٣٧) - ملحق العربي،
شوال ١٣٩٩هـ، فيقول: إنها كانت في شرق البحر الأبيض المتوسط، وأن
أول من ذكرها أفلاطون، راجع الملحق المذكور لتقرأ عنها مفصلاً.

(١) الجرانيت: صخر اندفاعي، لونه رمادي أو وردي منقط ببقع سود، وهو
ثقيل، وقاسي، ومقاوم للكسر (كتاب العلوم: البغدادي ورفاقه، ط، وراة
التربية بدمشق، ص (٣٩) ١٩٧٨.

الحاقده، ويشنون على أصحمة ملك الحبشة الذي استقبلهم
بلاده استقبلاً كريماً، حبیباً.

ولا بُدَّ أنهم كانوا يتذكرون جيش الفيل... وعلاقة ملك
الحبشة السابق به...

ولا بُدَّ أن الحوار الذي دار بينهم كشف لهم: أن أبرهة
حاكم اليمن، كتب إلى النجاشي السابق يقول له: إن سلطان
النصرانية، يجب أن يمتد،... ويتلاقى، ليكون رعباً في
قلوب أكاسرة الفرس... وأن بين ملك قيصر وبين الحبشة
واليمن النصرانيتين هذه «القرية» مكة، ذات المركز التجاري
الفخم... فإذا بسطنا عليها حكمنا، وهدمنا الكعبة... وأرغمنا
العرب أن يحجوا إلى كنيستنا في اليمن... فإن الأرض التي
تمتد من البحر الأسود، إلى البحر الأحمر... إلى... يصبح
ملكاً للنصرانية..

ويعجب هذا الرأي سيد الحبشة، فهو يحقق له مكتسبات:
سياسة، واقتصادية، ودينية، ولذا، يباركه، ويمد أبرهة بما طلب
من: مال، وسلاح، ورجال، وأفيال...

ويقول جعفر بن أبي طالب: ولكن رب البيت حماه، كما
قال عبد المطلب، وأهلك أبرهة... وجعله يموت شارقاً بأحلام
الياسمين البيضاء...

ولا بد أن المقداد عَلَّقَ على ذلك قائلاً: كان ذلك عِزًّا
لقريش، وشرفاً، ومنعة، وإنني لأرى أن الله فعل ذلك من أجل
نبي الهدى محمد...

إن هزيمة أبرهة، وحبيشه، كان دلالةً قاطعة على أن فجرًا
جديدًا سوف يبرز... هذا الفجر هو: ظهور محمد بالرسالة
الإلهية التي ستطلع على الكون نهاراً مبصراً للناس أجمعين...
وتمضي أيام المسلمين في الحبشة على هذا النحو،
يجتمعون فيتحادثون سهراتٍ نديةً بالحب... ويتسقطون أخبار
رسول الله (ص)... وأخبار قريش... وفي النهار يزاولون
أعمالهم، بنشاط، ومحبة...

عمرو بن العاص في الحبشة مقاطعة قريش لبني هاشم - انتهاء المقاطعة

ويتهيأ إليهم يوماً: أن «قريشاً» أرسلت عمرو بن العاص،
يحمل هدايا إلى الملك، وقواده،...
ابن العاص الداهية، جاء هنا، ومعه هدايا؟؟ إنه لم يقدم إلا
لشراً...
ويخشى المسلمون أن يُغيّر عمرو بن العاص قلب النجاشي
عليهم، فيطردهم من أرضه...
ويقول لهم جعفر: لا تخشوا بأساً، فإن الله ناصرنا على ابن
العاص، ودهائه...
وهم في حديثهم يأتيهم رسول النجاشي، يطلب إليهم، أن
يقابلوا الملك..

فيلبون الدعوة... وإذا عمرو بن العاص يقول للمليك: إن
هؤلاء خالفوا دينك، وديننا، وفرقوا وحدتنا، وإننا نرغب إليك

إبقاءً على صداقتنا، وحسن الجوار، أن تعيدهم إلى قومهم...
 فينهض جعفر بن أبي طالب بإذن المليك، يرد على عمرو
 بن العاص، كلامه...

ويرى النجاشي^١ نور الحق ينبج من كلمات جعفر، فيرد على
 ابن العاص هداياه، ويرد مطلبه... ويبقى المسلمون عند
 النجاشي خميلة زهر، يتعهدا بالعناية، والرعاية، والإكرام^(١).

ثم تأتيهم أخبار الرسول (ص) لمحّة، بعد لمحّة، يعلمون أن أبناء
 «يثرب» من قبيلتي: الأوس، والخزرج، قد دخلوا في دين الله،
 وأنهم عاهدوا الرسول (ص) على أن يدفعوا عنه، ما يدفعون عن
 آبائهم، وأهلهم، فينعد ذلك في قلوبهم فرحاً، ومرحاً،
 وغبطة...

ثم يبلغهم نبأ مقاطعة قريش لبني هاشم والمطلب، لا
 يشترون منهم، ولا يبيعونهم، وأنهم كتبوا بذلك عهداً على
 صحيفة علقوها على جدار الكعبة... وأن الحاجة أرغمت
 الرسول (ص) ومن معه على أن يأكلوا أوراق الطلح المرة، والجلود
 اليابسة، فيألمون لذلك ألماً قاسياً.

كانت عواطفهم «ميزان» جَوْ شديد الحساسية، فحيناً ترتفع
 إلى القمة من درجات البهجة الرغيدة...

وحياناً تنخفض إلى أدنى الدركات من الألم، المضني،
 الذابح..

(١) اقرأ كتابنا: أبو طالب عملاق الإسلام الخالد، ففيه تفصيل لهذه الحادثة.

ولكن ضياء الرجاء كان يهيبهم صِحَّةً نفسيةً، توازن بين
صحراء الآلام... ورياض البهجة...
ثم يبلغهم أن قريشاً رجعت بعد أعوام ثلاثة، عن بغياها، وأن
الله قد مَزَقَ وثيقة المقاطعة..
ويُفسر بعضهم تراجع قريش عن المقاطعة بأنه ظَفَرُ مكين،
سوف يتحوَّل قدرة فاعلة في مَدِّ الرسالة المحمدية.
وهذا «المنطق» زَيْنٌ لهؤلاء البعض أن يعودوا إلى مكة، وكان
على رأس العائدين المقداد بن الأسود الكندي...

رجوع المقداد في جمادى الأولى العام السابع للبعثة
(آب ٦٢٨م).

وتستقبل قريش العائدين بوجوه كارهة تبرز منها أسنة الرماح،
وظبات السيوف..
ويرون أن قريشاً ما برحت تدور في فلك طغيانها وضلالها..
ويعلمون أن تمزيق الصحيفة كان قسراً..
فيعدون للمكارة دروع الصبر الواقية..
ويمضي المقداد إلى أمه، فتأخذه بين ذراعيها قارورة عطر،
وزهرة عمر... ويرحب به والده الأسود... ويلتئم الشمل
بهياً، وردياً..
بيد أن قريشاً تتحرك غُنفاً مجنوناً... فتجعل من أيام
المسلمين تعباً، ونصباً...

وفاة أبي طالب وخديجة:

وينزل بالرسول (ص) خطبان قاسيان هما: وفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة بنت خويلد..

كان عمه اللسان الرطب البليغ، في الدعوة إلى الإسلام...
وكان قلعه الحصينة التي تدفع عنه شر الطاغوت المتمنر...
وقد أصبح، بعد وفاة عمه غرضاً مكشوفاً لأحقاد قريش
الشامته...

كان يردد في كل مجلس: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه
حتى مات أبو طالب^(١).

وكانت زوجته خديجة ريحانة أنسه...
وهو حين يعود إلى داره يجده مفروشاً بطنافس الراحة،
طافحاً بماء الحبور...

والآن، وقد فقد عمه... وفقد زوجته... فكيف يكون
شأنه؟

إنه رسول الله (ص)، والله لا يتخلى عن رسوله... بل، إنه من
قلب الظلمة المعقدة، يرفع له سراج النور علماً يضيء له
المسالك الوعرة... الملتوية... ذلك هو إيمان محمد بن عبد
الله بربه الأعلى الذي اصطفاه لحمل الرسالة المحررة...
الخلافة...

ويخطر للرسول أن يدع مكة إلى حين..

(١) راجع، ابن كثير: البداية والنهاية - الجزء الثالث، صفحة (١٣٤).

خروج الرسول إلى الطائف^(١)

ويخرج إلى الطائف بدعوته عساه يجد هناك الله جنداً...

غير أنه يلقي فيهم قريشاً، كفراً، وتركيباً اجتماعياً، وسلطة احتكارات وأذى، فيعود إلى مكة، لهيفاً، وجعاً، محتسباً، صابراً، يدعو ربه فيقول: اللهم!! إن لم يكن بك غضبٌ عليّ، فلا أبالي...

وكان المقداد والمسلمون يعيشون أوجاع الرسول، اضطراباً داخليةً يجرح الأكباد بصمتٍ رهيب...

الإسراء^(٢):

ويصبح الناس يوماً، يكلم بعضهم بعضاً همساً... كان الهمس وليداً، ثم ربا حتى صار أمواجاً من الضوء، تغمر كل ذرة في مكة...

ثم يتجاوز مكة إلى آفاق الجزيرة العربية فيملأها طيباً قدوسياً...

ماذا أيها الناس!!؟؟

لقد أسرى الله برسوله محمد من «مكة» إلى «بيت المقدس» في فلسطين...

(١) الطائف: مدينة في الحجاز، جنوب شرقي مكة، تقع على قمة جبل غزوان، يسكنها بنو ثقيف تبعد عن مكة (٧٥) ميلاً، وترتفع عن البحر (٥١٠٠) قدماً.

(٢) كان الإسراء يوم الإثنين في ٢٧ رجب (٦٢١) م. قبل الهجرة بعام واحد.

ومن هناك أضعده إلى الملأ الأعلى يُزوده طاقةً روحانية،
ويريه من آياته الكبرى، بعدما فقد عمه، وزوجته، وبعد أن آذته
ثقيف في الطائف...

وهو ذا يعود من أسرائه الأرضي - السماوي، صفاء أنضر
القاء، وعزماً أغنى مضاء...

ويعطي الرسول (ص) للمكذبين، والشاكين، الدلائل الحسية على
رحلته - يصف لهم المسجد الأقصى، ولم يكن رآه من قبل،
فيقول من زار المسجد الأقصى: إنه لصادق فيما يقول...

ويخبرهم عن غير لهم قادمة بتجارة، رآها في الطريق،
ويحدد المكان... والزمان...

ولكن الشرك يكذب... ويكذب... ويرفض الدليل
الحسي... يتعاضى عن كل شيء...

ويذهب إلى أعماق من ذلك، إنه يعمد إلى صب ماء الشك
في قلوب المسلمين...

شرعوا يقولون لهم: أرايتم، كيف وضع مكر محمد بك؟؟؟

هل يصدق أحد، أنه ذهب إلى بيت المقدس، وصعد إلى
السما، وشاهد عجائبها، وخاطب ربه، في جزء من ليلة
واحدة؟؟؟

وَيَقُتُّ المشركون دعايتهم هذه في كل مكان...

إنهم يُغالطون... إنهم يتجاهلون الدليل الحسي المؤيد
بالبرهان الذي قدمه رسول الله (ص)، ليزعزعو إيمان المسلمين...
غير أن المسلمين يصرخون في وجوه أرياب الشرك: صدق

رسول الله... ولقد أعطى الدليل الحسي القاطع على صدقه... ولكن عنادكم يحجب عقولكم عن رؤية أنوار الملكوت السماوي...

ويجب المشركون على تصديق المسلمين لنبي الهدى، بأن يصدموهم بحملة جديدة... يحملونهم فيها من العذاب وحشية تأكل لحوم الإنسان حياً، وميتاً...

ولكن جبروتهم يخنع لهزيمة منكرة..

لقد رأوا الرسول (ص)، وصحبه، أصلب مكسراً... وأجل صبراً... فيجتمعون في ناديهم، ويرى أحدهم رأياً، يعتمد عليه القوم جميعاً، ويحافظون على سرية محافظة البحر على ما في أعماقه من أسرار...

هجرة الرسول - علي ينال في فراش رسول الله

وتستيقظ مكة يوم الخميس أول يوم من ربيع الأول على حركة صخب^(١)...

شبان سيوفهم مجردة... يركضون هنا، وهناك... وفي عيونهم فزع، وفي حركاتهم ذهول مبين...

من يطارد هؤلاء؟؟؟

ويخرج الناس من مساكنهم يتساءلون: ماذا حدث؟؟ وتخرج النساء إلى الشرفات، وأسطحة المنازل، ينظرن إلى

(١) وصل الرسول إلى المدينة لائتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ظهر يوم الإثنين لثلاث وخمسين سنة من مولده (٢٨) حزيران (٦٢٢م).

بعيد، عساهنَّ يرين العدو الذي يسعى إليه هؤلاء الشبان...
فلا يرين أحداً...

وَيَتَعَطَّفُ الناس على بعضهم يتهامون: ماذا جرى؟؟

ولم يلبثوا إلا قليلاً، حتى رأوا السادة من قریش، يجرون
ركضاً إلى «دار الندوة»، وفي جريهم الملهوف ما يدل على أن
رءاً ساحقاً نزل بقریش...

ويلحق بهم الناس مسرعين، إلى دار الندوة، يرومون أن
يعرفوا السر الأخرى...
ويقفون أكواماً خارج دار الندوة، ينتظرون ما يطلع به عليهم
السادة الأعلون...

وتسترق العيون النظر... وتسترق الأذان السمع... من ثنايا
الأبواب، والنوافذ المغلقة...

إن الرؤساء سكارى... يقومون... ويقعدون... ويحركون
أيديهم في الهواء... وينغضون رؤوسهم بغضب...
ياللعجب!!!

أي هول طارىء أسكر هؤلاء الأسياد؟؟

وتتساقط ورقة من شجرة الزمن بعد ورقة... فإذا الخيط
الأبيض يتبين من الخيط الأسود... إذا السر الرهيب ينكشف،
السر الذي جعل مكة كل مكة تضطرب وتعيش ساعات توتر
عصبي... وقلتي نفسي...

إنما، ما هو ذلك السر المذهل، المسكر؟؟

يقول أحد الخارجين من «دار الندوة»: لقد ترك محمد بن عبد الله مكة...

ترك مكة؟؟ ولكن، إلى أين مضى؟؟ إلى الحبشة؟؟ إلى يثرب؟؟ إلى أين؟؟

وتتداول كل عنقٍ لتأخذ الجواب الصحيح... ويعلمون أنه هاجر إلى «يثرب» لينزل على المسلمين من: قبيلتي الأوس، والخزرج...

ويُبرع سؤال طري على شجرة الحدث المفزع، ثم يفتح هاتفاً: ما الأسباب التي دفعت محمداً (ص) إلى الهجرة؟؟

ويعرف الجميع، أن سادة «قريش البغي» قرروا في اجتماع لهم سري، أن يقتلوا محمداً (ص) عند بزوغ فجر هذا اليوم، ولكي يلدروا سيوف بني هاشم والمطلب قارةً في أعمادها، رأوا أن يشترك في اغتياله شابٌ من كل قبيلة من قريش...

ويعلم الناس، أن الشبان الذي اصطفوه ذهبوا - حين هبط الظلام الحالك - إلى بيت محمد (ص) يرصدونه..

وينظرون من الباب فيجدون محمداً (ص) نائماً، متدثراً ببرده الحضرمي الأخضر، فيطمثون إلى وجوده، وإلى أنه أصبح في حلقة الحصار الذي لا فكأك له منه...

ويجلسون أمام البيت، يتخافتون في سمرهم، منتظرين إطلالة الصباح، لينفذوا المهمة التي أناطها بهم الأسياد...

وعندما تشرع خيوط النور بابتلاع الظلام، يهجمون على الباب...

ولكن، ما هذا؟؟؟

إنهم يرون علي بن أبي طالب ينهض من الفراش ويقول
لهم: ما بالكم؟؟ لماذا جئتم هنا؟؟ ماذا تريدون؟؟ وينبهر
القوم، ويصرخون: أعليُّ بن أبي طالب؟؟

- نعم.

- أين ابن عمك محمد؟؟

- لا أعلم.

- لا تعلم، أهكذا نخدعنا، ونهيه النجاة لمحمد؟؟
لنذهبك ذبحاً...

ويهمون عليه، ويسبق الجميع خالد بن الوليد، شاهراً
سيفه، يريد أن يبطش بعلي.

وَنَثِبَ علي إليه، بخفة فائقة، فيمسك بيده، ويعتصرها،
فيسقط السيف على الأرض، فَيَسْمَعُ له رنين، يجفل منه
الآخرون، ويلتقط علي السيف، ويُقْبِلُ عليهم، فيولون
هاربين...

وتقول الجماهير المحتشدة: ما أشجع علي بن أبي طالب،
وما أجراه!!!...

ويخرج أبو جهل من دار الندوة، وهو يضرب كفاً على كف،
ويهتف بحرقه: ألا يكفي ما لقينا من أبي طالب في حماية
محمد حتى يجيء ابنه علي فينقله من أيدينا في اللحظة
الحاسمة؟؟

لقد خسرنا كل شيء... خسرنا كل شيء...

ويقول أبو سفيان: واللات، والعزى، إن عمل علي أربى على جميع ما فعله والده أبو طالب من أجل محمد بن عبد الله...

وتعلن قریش عن جائزة كبرى قدرها «مائة ناقة» لمن يجيء بمحمد (ص) حيًّا، أو ميتاً.

وينطلق الطامعون في الجائزة يجوبون كل فج... ولكنهم يعودون خائبين..

وتعلم قریش فيما بعد، أن جبريل جاء محمداً (ص) يخبره بما يتوهم، ويقول له: إن الله قد أذن لك بالهجرة إلى يثرب...

وتعلم أيضاً أنه سبق الهجرة اجتماع ثلاثي ضم محمداً رسول الله (ص)، وابن عمه علياً (ع)، وصاحبه أبا بكر، وأن الرسول أطلعهم على ما أخبره به جبريل...

ويرتاح علي وأبو بكر لهذا النبأ... غير أن الرسول يقول لهما: ولكن أمري سينكشف، إذا لم يرقد امرؤ في فراشي، ويوهم المشركين الذين سيرصدونني عند حلول الظلام أنني موجود، فيكفون عن ملاحقتي... وبذلك يفتح لي سبيل الهجرة إلى «يثرب» والنجاة من الهلاك...

ويصمت الرسول (ص)...

ويقول أبو بكر: ومن يستطيع ذلك يا رسول الله؟؟

فينهض علي ويقول: أنا أرقد في فراشك يا رسول الله!!!

ويبارك الرسول ابن عمه علي بن أبي طالب...

ويسأله أبو بكر الصحبة... فيلبي رغبته...

وينسحب الرسول (ص) وأبو بكر من مكة محتجين بظلام الليل...
ويرقد علي (ع) في فراش الرسول يغطي انسحابهما...
ويحميهما من فتك قريش الباغية...

يقول الأستاذ محمد رضا معلقاً على حادثة الهجرة، ومبيت
علي (ع) في فراش الرسول (ص): «إن علي بن أبي طالب
(ع) أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، ووقى بنفسه رسول
الله (ص)»^(١).



وكان لله في علي (ع) شأن، فقد حفظه من المشركين...
وبعد أن يمضي أياماً ثلاثة في مكة، يؤدي فيها الأمانات
المودعة عند الرسول (ص) إلى أصحابها، ينطلق إلى «يثرب».

ويجيء الأسود إلى داره، وعبوس الشر في وجهه... ولا
يستقر به مجلسه حتى يقول: ليتهم قتلوا علي بن أبي طالب يوم
هاجر محمد بن عبد الله.

فيقول المقداد: يقتلون علياً؟... وهل استطاعوا إلى
ذلك سبيلاً وأمسكوا؟؟

- وهل بوسع علي وحده أن يحارب قريشاً مجتمعة؟؟

قال أسياذ قريش: ذروه الآن، ولنفرغ إلى البحث عن
محمد، ولقد فاتهم محمد (ص)... وفاتهم علي (ع)...
وعندي أن ذلك نذير سوء لمستقبل قريش...

(١) راجع: محمد رضا: محمد رسول الله صفحة (١٦١) طبعة ثانية في مكتبة
الجامعة المصرية ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م.

قالت أم المقداد: علمنا كيف فاتهم محمد، ولكن، ماذا
تعني بقولك فاتهم علي، وعلي ما يزال في مكة؟؟؟

- يابنة كندة!! إن علياً، بعدما أدى أمانات ابن عمه محمد،
خرج في صبيحة هذا اليوم مبكراً، ومعه الفواطم: فاطمة بنت
أسد والدته، وفاطمة بنت محمد، وفاطمة بنت الزبير بن عبد
المطلب، ولما علم زعماء قريش بسفره المفاجيء، بعثوا إليه
بثمانية من فرسانهم، ومع الفرسان الثمانية، جناح مولى حرب
بن أمية، المشهور بالفتك، وشدة المراس، فأدركوه في
«ضجنان».

ويراهم علي (ع) قادمين، فيأمر أيمن ابن أم أيمن مولى
محمد، وأبا واقد، اللذين يسوقان الرواحل، أن يُنيخا الإبل،
ويعقلاها، ويتقدم إلى النسوة فينزلهن، ثم يستدير إلى الفرسان
التسعة، وقد أشهر سيفه..

قالوا له: يا غدار!! أظننت أنك ناجٍ بالنسوة؟؟ ارجع، لا أبا
لك...

- وإن لم أفعل..
- لترجعن راغبا، أو لترجعن بأكثرك شعراً^(١)، وأهون بك من
هالك!!!

ويتجهون إلى المطايا، يريدون أن يثيروها... فيقف علي
(ع) بينهم، وبين المطايا..

وينقض عليه جناح مولى حرب بن أمية، وينحني من علي

(١) يريدون رأسه.

فرسه، ويهوي على رأس علي (ع) بسيفه المسموم، فيروغ علي (ع) من الضربة... ويعلو جناحاً بضربة رشيقة، فيقده نصفين، حتى يصل السيف إلى كتف فرسه..

ويرى الفرسان الثمانية أن جناحاً قد صار اثنين بضربة واحدة ومضت برقاً خاطفاً، فتنقطع قلوبهم رعباً..

ولا يترك لهم علي (ع) فرصة يتنفسون فيها من دهشتهم، بل يشد عليهم، وهو ينشد:

تخلّوا سبيلَ الجاهد المجاهد آلِيت، لا أعبد إلا الواحد
فينفرون أمامه هاربين، ويمضي هو بالفواطم^(١).

وينهض الأسود قائماً، وقد غلا انفعاله في صدره، ويقول:
لقد انطوت قریش على كره لعلي بن أبي طالب سيجعله يتقلقل
فوق طوفان من أضغانها، وبغضائها، وسوف يصحبها ذلك له ما
بقي حياً، إذ لولاه لما استطاع محمد أن يجد إلى النجاة
مسلكاً...

وينظر الأسود في وجه المقداد، فيرى فيه ليلاً قاتماً، فيسأله:
هل يسؤك ما تسمع يا مقداد؟!؟

(١) يقول الأستاذ محمد رضا في كتاب: محمد رسول الله، الطبعة الثانية - مصر، عام ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م، يقول في الصفحة (١٦٨): «ثم قدم علي وبعه الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ولما وصل نزل على كلثوم بن الهمد اقتداء بالنبي فاعتنقه الرسول وبكى رحمةً به لما بقدميه من الورم (أي من السير ماشياً) وتقل - الرسول - في يديه وأمرهما على قنمي علي فلم يشكهما بعد ذلك».

- إي والله، يا أبتِ!! وهل ثمة ما يسيء أكثر من هذا
لقول؟؟؟

إن على قريش - لو وَعَثَ - أن تمجد علي بن أبي طالب
(ع)، لأنه فعل ما فعل من أجلها... ومن أجل العالمين
قاطبة...

إن رسالة محمد (ص) ستغني الكون كله بثروة حضارية
مباركة... ولكنكم قوم تجهلون...

وتظهر أم المقداد غضباً وتقول: أهكذا تقابل أبناك يا
مقداد؟؟؟ اصمت، فوالله لولاه لهرست قريش لحكمك
وعظمتك هُرساً...

ويصمت المقداد، وهو يحس أن أعصابه لهب مستعر...

أما الأسود، فإنه يشعر بكلمات زوجته تنسكب عليه لطفاً،
يُخمد رعونة غضبه، فيضع يده على كتفها ويقول لها: اسجنيه
هنا، وحذار أن تتركي له درباً إلى مجتمع مكة، فإن المسلمين
جميعاً قد لبسوا رداء الليل، ومضوا إلى يثرب وإذا بقي منهم
باقٍ، فهو: إما مختبيء... وإما متظاهر أنه مع قريش...

ويترك الأسود زوجته وابنها المقداد، ويذهب... يستطلع،
ما عساه جَدُّ عند زعماء قريش من آراء...

الفصل الثاني

بدء الصراع بين الرسول (ص) وقريش إلحاق المقداد بالرسول (ص)

قريش جعلت من المسلمين وقوداً في تنور العذاب،
والإذلال...

وقسرتهم قسراً على ترك مَراجيحهم... وأموالهم... وملاعب
صباهم... وصادرت كل ما يملكون....

فهل يسكت المسلمون على ظلم الشرك، البطر،
المعربد؟؟؟

أيزداد أولئك البغاة تُخمةً من ثمار دمائهم، وتَيَسَّر عروقهم،
هم، فقراً؟؟؟

ويأتون الرسول (ص) يقولون له: يا رسول الله!! إن حبال
الشرك ما برحت آخذةً بأعناقنا، فمرنا بجهاد هؤلاء الذين لَوْنوا
دماءنا بالقهر والحرمان؟؟؟

ويضعون أمام الرسول (ص) المسوغات فيقولون: إن
شركهم... واستعبادهم الضعفاء... وسرقتهم جهودهم، يُحل
لنا جهادهم، فكيف، وقد قتلوا منا من قتلوا، وأخرجونا من
ديارنا بغياً... واستحذوا على أموالنا يأكلونها خُصماً، وَقَضْماً؟؟؟

ويأذن الله لرسوله (ص) بجهاد المشركين... الظالمين...
 فيجهز السرية بعد السرية، تنطلق، فتعرض لغير قريش
 حيث وجدتھا...
 وتشمخ قريش أنفةً وكبرياء... أيحلّم محمد أن يتصدى لها
 في حرب؟؟
 وترسل التهديد ويلًا قاصفاً...

ثم يخطر لسادتها أن يُعدّوا جيشاً ضخماً، ما إن يراه
 المسلمون حتى يشرقوا بمطامعهم، وتقرّ نائرتهم..
 وفي أيام قليلات يُنفذون ما خَطَرَ لهم، ويسندون قيادة الجيش
 إلى أحد فرسانهم المعروفين - عكرمة بن أبي جهل -.

هجرة المقداد إلى المدينة:

وفي شهر صفر من العام الأول للهجرة، يخرج عكرمة
 بجيشه... ويخرج معه المقداد بن الأسود، وهو بحسبه
 للمسلمين ضداً...

ويبعد عكرمة حتى يبلغ «أحياء»^(١) فينزل هناك، ولكنه لم
 يكد يسكن... حتى يفجأه عبدة بن الحارث بن عبد المطلب
 في ثمانين راكباً يعسكرون إلى جوارهم.

ولم تمض ساعة من نهار بعد نزول المسلمين، حتى يرى
 عكرمة بن أبي جهل فارساً بفصل عن جيشه، ويسير بفرسه خبيبا
 نحو المسلمين، فيثبت عليه نظره، وهو بخال أنه نزل يطلب

(١) أحياء: ماء بالحجار بأسفل ثنية المرة ناحية الجحمة.

المبارزة، ولكنه يرى شيئاً لم يوشك أن يصدقه..

يرى الفارس ينضم إلى جماعة المسلمين..

ويراهم عليه يحنون، وله يعانقون، وبه يرحبون.

فيصرخ، من هذا الذي تركنا، وانحاز إلى الصابئين...؟؟

ويأتيه الجواب: إنه المقداد بن الأسود^(١)...

المقداد؟؟ واللات والعزى لقد خدعنا، ولكنه سيقع في يدي

يوماً، ولن يكون عقابه إلا أن أقط عنقه قطعاً...

ثم ينصرف القوم عن القوم فلا يكون قتال^(٢)..

ويرجع المقداد بن الأسود مع المسلمين حبة ندى على خد

زهرة...

وحين يراه الرسول (ص) يفتح له ذراعيه مرحباً... ويفسح

له مكاناً في دار «كلثوم بن الهدم»^(٣) التي يسكنها...

وبيت المقداد ريان الجوارح، تنطف السكينة في ضميره

عبير الجبور، وفي ذلك يقول: «لما نزلنا المدينة عشنا رسول

الله (ص)، عشرة، عشرة، فكنت في العشرة الذين كان النبي

(ص) فيهم، ولم يكن لنا إلا شاة نتجزأ منها، وعندما آخى

الرسول (ص) بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين عبد الله

(١) يقول الطبري: إن عتبة بن غزوان كان مع جيش عكرمة وإنه التحق

بالمسلمين أيضاً

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة - الجزء الرابع ص (٤١٠ و ٤١١) ط مصر

١٢٨٦هـ. والطبري: القسم الأول - ٢ - ص (١٢٦٧) ط بيروت

(٣) كلثوم بن الهدم الأنصاري من بني عمرو بن عوف، كان شيخاً، أسلم قبل

الهجرة. أول من مات من أصحاب الرسول، مات قبل وقعة «بدر» بيسير.

بن رواحه^(١).

ويموت كلثوم بن الهدم. فيتحول المقداد إلى دار سعد بن عبادة، ويظل عنده حتى تُفْتَحَ قريظة^(٢)، ثم يُقَطَّعُ رسول الله (ص) في بني جديلة، ويدعوه إلى تلك الناحية أبي بن كعب^(٣).

ويرافق المقداد رسول الله (ص)، إلفَ الفُراش الرياض الغناء... فهو معه حيثما حلَّ... وأينما ذهب...

كان معه حين تَوَجَّهَ إلى دار أبي أيوب خالد الأنصاري الكائن في منازل بني عدي بن النجار.

وكان هناك مع المسلمين في إنشاء مسجد الرسول (ص) وقد أصبح هذا المسجد مجمعا ثقافيا، وسياسيا، وحربيا للمسلمين^(٤)... و... و...

ويجوب المقداد أنحاء «يثرب» فيرى سهلا فسيحا يسمونه «سهل المدينة»، ويرى على طرفي هذا السهل مرتفعين من

(١) الإصابة في التمييز بين الصحابة: ابن حجر العسقلاني - الجزء الثاني ص (٣٠٦) ط. بغداد.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ص (١٧٧) ط. جامعة الدول العربية - القاهرة (١٩٥٦م).

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، المجلد الثالث، ص (١٦١) ط. دار صادر - بيروت.

(٤) مسجد الرسول يقع في المدينة مكان القلب من الجسد. كانت أرضه مرندا، أي مكانا لتجفيف التمر...

«البازلت» الأسود^(١)، وهذان المرتفعان يسميان: اللابتين والحرتين...

وفي هذا السهل تتناثر واحات متعددة: واحة قُباء، ويثرب، والسنح، وسلع...

ويرى قبيلتي: الأوس، والخزرج... واليهود من: قريظة، والنضير، تسكن واحات خاصة بها، وفي كل واحة يشاهد أطماً - حُصناً -، وحوله أرض زراعية... وأرض تُركت مرعى...

وبين مجالات كل قبيلة، مساحات واسعة من الأرض لا يسكنها أحد...

ويرى ودياناً تشق هذا السهل، وتفصل «يثرب» عن بعضها أجزاء، منها: وادي مذنيب، ووادي رانونا، ومجتمع الأسيال، وبطحان، والعقيق، ومهزور...

ويسأل عن هذه الوديان، فيقال له: إنها جافة أكثر أيام السنة... أما إذا هطل مطر، فإنها تحمل الماء إلى خارج يثرب.

(٢) الرسول ينظم يثرب

ويرى المقداد الرسول (ص) يبدأ بتنظيم يثرب، فيشق مع المسلمين طريقاً من مسجده في وسط المدينة إلى جبل سلع، ثم يبلطه...

(١) البازلت: صخر اندفاعي لونه أسود وهو ثقيل، وقاس، ومقاوم للكسر، كالجرانيت.

(٢) يثرب، اسم كنعاني. ثم سميت طيبة، وهو عربي، ثم سُميت المدينة، ومدينة الرسول أخيراً.

ويعمل مع المسلمين، على تمهيد وتسوية موضع شرقي المدينة، تغطيه الأعشاب والصخور، ويجعل منه مقبرة للمسلمين، ويسميه «بقيع الفرقب».

ثم يفتح طريقاً ثانياً من هذا البقيع إلى المسجد... ويطلب من أحد العمال الفنيين القادم من فارس، أن يبني جسراً على «وادي مذيئيب»، ويمهد طريقاً ثالثاً من المسجد، ويجعله يمر وسط منازل بني النجار، حتى يصل إلى «قباء» جنوباً، وإلى واحة السنح شمالاً...

ويفرح أبناء المدينة لهذه الطرق، ويقبلون على بناء مساكنهم على جوانبها...

ويتفق الأنصار على تسمية «يثرب»: مدينة الرسول (ص).

ويسمحون له بالأراضي الغامرة - التي لا يزرعونها - أن يتصرف فيها كما يشاء، فيقسمها قطعاً... ويعطي كلاً من المسلمين الذين لا يملكون شيئاً قطعة يبنى فيها داراً، ويشترط البناء والزرع... فإن لم يفعل خلال ثلاثة أعوام تنزع منه الأرض... وهكذا، وبمرور الأعوام تتصل يثرب ببعضها، وتصبح مدينة منظمة، متلاصقة المساكن^(١)...

سرّية الخرار: المقداد يحمل اللواء...

على أن عمل الرسول (ص) في البناء والتنظيم، لم يشغله

(١) مجلة الهلال المصرية: عدد أيلول ١٩٧٨، ص (٢٠ و ٢١) نقلاً عن كتاب (وفاء الوفا) للسهمودي، وكتاب التراتيب الإدارية لمعد الحي الكتاني ونقول =

عن المشركين... قَصَّابِي الحياة.

ففي ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة (٦٢٣م) يعقد الرسول لسعد بن أبي وقاص لواء أبيض، يحمله المقداد ويبعثه في عشرين رجلاً من المهاجرين يعترض لعير قريش، إذا مرَّت به، ويعهد إليه أن لا يتجاوز الخرار^(١).

يقول سعد: فخرجنا على أقدامنا، فكنا نكمن النهار، ونسير الليل، حتى صَبَّحْنَا الخرار، صُبَّحْ خامسة، فنجد العير قد مرَّت بالأمس، فانصرفنا إلى المدينة^(٢)...

سَرِيَّة النخلة - المقداد يأمر الحكم بن كيسان:

وفي شهر رجب على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة (تشرين الثاني ٦٢٣م)، بعث الرسول (ص) عبد الله بن جحش في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، كل اثنين يعقبان عيراً إلى «نخلة»^(٣)، فأقام هناك كما أمر رسول الله (ص)، فمرت به عير

= مجلة الفیصل في عدد تشرين الثاني ١٩٧٧، صفحة (٣٧): إن المدينة ذات تاريخ قديم، يمتد إلى ما قبل ملاد المسيح. وقد ورد ذكرها في الكتابات المعنية، وفي جغرافية بطليموس باسم (يثربة). وتقع المدينة على خط (٣٩، ٣٦ دقيقة (١) ثانية ٦١٪ من خطوط الطول، وعلى ٢٤°، ٢٨ دقيقة، ٥ ثانية، ٣٥٪ من خط العرض وترتفع عن سطح البحر بحوالي (٥٥٧) متراً - ٦٣٩.

(١) وادي في الحجاز يصب في الجحفة.

(٢) تاريخ الطبري: القسم الأول - ٢ - صفحة (١٢٦٥ و ١٢٦٦) طبع بيروت + محمد رضا: محمد رسول الله، ص (٢٠٨) طبعة ثانية في مصر ١٩٣٩م = ١٣٥٨هـ.

(٣) نخلة: بستان ابن عامر قرب مكة على بعد ليلة منها.

قريش، تحمل خمراً وأدماً وزبيياً، قدموا به من الطائف، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن المغيرة، وأخوه نوفل، والحكم بن كيسان، فلما رأهم القوم هابوهم، وقد نزلوا قريّة. منهم، فأجمع المسلمون على قتالهم، فرمى وafd بن عبد الله التميمي، عمرو بن الحضرمي، بسهم، فقتله... ويشد عليهم المسلمون، فيهربون، ويأسر المقداد بن الأسود الحكم بن كيسان، وفي هذا يقول المقداد: أنا أسرتُ الحكم بن كيسان، فأراد أميرنا ضرب عنقه، فقلت: دعه، نقدم به على رسول الله (ص)، فقدمنا، فجعل الرسول (ص) يدعو إلى الإسلام، فأطال، فقال عمر: علام تكلم هذا يا رسول الله ۱۱؟ والله لا يسلم هذا آخر الدهر، دعني أضرب عنقه، ويقدم على أمه الهاوية... فجعل النبي (ص) لا يقبل على عمر، حتى أسلم الحكم، فقال عمر: فما هو إلا أن رأيته قد أسلم، حتى أخذني ما تقدم، وما تأخر، وقلت: كيف أرد على النبي أمراً هو أعلم به مني، ثم أقول: إنما أردتُ بذلك النصيحة لله، ولرسوله. فقال عمر: فأسلم، والله، بهوچسن إسلامه، وجاهد في الله، حتى قُتل شهيداً في «بئر معونة»^(۱).

(۱) بئر معونة: أرض بين أرض بني عامر، وحرّة بني سلم، قتل فيها المشركون، وعلى رأسهم عامر بن الطفيل، حوالي أربعين من المسلمين غدرًا... راجع الطبري: القسم الأول - ۳ - من ص ۱۴۴۱ - ۱۴۴۴.



وقعة بدر الكبرى

المقداد يقول للرسول (ص): امض لما أمرك الله فنحن معك:
البدر يتبختر في حُلَّة الليلة الثالثة عشرة، والسماء تبدو سقفاً
بلورياً أخضر... والنجوم ترسل من منازلها ألقاً يكشفه نور
البدر، المتدفق: طراوة، وليناً، وعدوية.
أما الأرض فقد تذرَّت غلالةً فضية شفافاً، تمرح فيها
عدارى الأنسام بدعاً من الرقة المنعشة.
هذا الليل الكريم، كان يضم إلى صدره بحنان «يثرب»...

وفي مثل هذا الجو الناعم، يتفتح للسمر أزهار من لطيف
الأنس، فتدب الأسرار من الضمائر إلى الألسنة... وتنتقل هذه
الأسرار من أذن إلى أذن حلاوة، وسلافا... وذلك، ما كان
يحدث بين فتاتين، شابتين، كانتا تجلسان إلى جذع شجرة
نخيل باسقة، غير بعيد من مسجد رسول الله (ص).

قالت دعد: أترين يا ليلي هذا الجمال الخالب، المنبجس
من الأرض، والمنهمر من السماء؟؟

- في الحق أنها ليلة، فاضت فيها فتنة الوجود شلالات من
المحاسن، ولكن، أية ليلة، بل أي نهار، لم يكن سُمُوًا
وجلالًا، وبزكة، منذ حُلّ بيننا محمد رسول الله؟؟؟

- صدقت يا ليلي، فوالله لم نر إلا الخيرات والمسررات، منذ
دخل قومنا في هذا الدين الحنيف... لقد كُنّا متفرقين إلى
قبيليين، متباغضين: أوس، وخزرج... وقد أصبحنا اليوم، لا أوس،
ولا خزرج، بل إخوة في الله، متحابين، متعاونين، معتصمين بحبل
الله المتين، وتالله، لا أذكر «يوم بُعث» وغيره، إلا كدت أحترق
ألما لكثرة الدماء التي سُفكت من قومنا^(١).

وإن هناك لنعمة أخرى، كسّتنا بهاءها، بفضل هذا الدين
الرحماني، هي: أنه أراحنا من استكبار يهود بلدتنا، كانوا يروننا
وثنيين... كانوا ينظرون إلينا نظرة ازدراء، أما اليوم فقد
علوناهم بكلمة الله.

(١) راجع هذه الحادثة في المجلد الخامس عشر، ص (٣٧٥) من الأغاني لأبي
الفرج الأصفهاني، طبع دار الفكر - بيروت ١٩٥٦

- أجل يا أختي، إنها لمكرمة هدايا الله إليها... ولكن أمراً هاماً فعله الرسول يوم وطئ أرضنا لم نذكره..

- ما هو؟؟

- المؤاخاة بين المسلمين، من: مهاجرين، وأنصار؛... كم كان قومننا راعين، حين قسموا ما يملكون بينهم، وبين إخوانهم المهاجرين، حقاً، إن نسب الإسلام فوق كل نسب...

- ذلك عمل عظيم، لم يسبق أن عرف الناس عملاً مبهجاً مثله... إن فيه الدلالة النيرة على الإخلاص النقي للعقيدة التي غَسَلْ نبلها أدراَنَ التفرقة... والأناية من النفوس، فصارت نفوساً ملائكية في صور آدمية... ولكن، لا بُدَّ، ونحن في ذكر المؤاخاة، أن أسألك: لماذا لم يؤاخِرِ الرسول بينه، وبين أحد من الصحابة؟؟

- كيف؟؟ لقد آخى الرسول بين نفسه، وبين ابن عمه علي بن أبي طالب.

- آخى بينه وبين علي، أصحيح ما تقولين؟؟

- نعم، ولم هذا الاستغراب؟؟

- إني لأعجب، كيف خَصَّ الرسول علياً وحده بهذا الشرف

الذي تصغر أمامه أمجاد الدنيا والآخرة؟

- يلوح لي أنك لا تعرفين شيئاً عن علي بن أبي طالب...

- أعرف أنه في زهوة الشباب، وأنه ابن عم رسول الله.

- وهنالك أشياء أخرى لا تعرفينها، وكنت أنا مثلك لا

أعرفها، ولكن أخي عبادة قَصَّ علينا حياة علي... إنها تؤلف مع قلة أعوامها، سفرًا من المآثر، والروائع.

- ما هذا الغلو؟؟

- غلو؟؟ لا، يا أخت... .

- إذن، فأني مكرمة له يتميز بها عن غيره من المهاجرين، من أصحاب الرسول إلا أنه ابن عمه؟؟؟

- يا أخت!! الإسلام لا يرفع أحداً لنسبه فقط، ولكن، يرفع المسلم إخلاصه للمبادئ السماوية... وتضحياته في سبيلها... ولقد امتازت حياة علي بخصوصيات أُمَلَّتْهُ لَانِ يُوَافِي الرَسُولَ بَيْنَهُ، وَبَيْنَهُ، وَفِي اعْتِقَادِي أَنَّ هَذِهِ الْخُصُوصِيَّاتِ، وَمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنْ شَجَاعَةٍ. سَتَجْعَلُ لَهُ شَأْنًا رَفِيعًا... لَا يُرْتَقَى إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ..

فقلت في فتور هازيء: ما تلك الخصوصيات؟؟

- إذن، فأصغي: لقد ولدت فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب. وليدها علياً في بيت الله الحرام^(١)

(١) ولد علي يوم الجمعة بمكة داخل البيت الحرام في ثالث عشر المحرم - رَجَبَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ مِنْ عَامِ الْفِيلِ، قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ وَعَشْرِينَ سَنَةً، وَقِيلَ بِخَمْسِ وَعَشْرِينَ، وَقَبْلَ الْمَبْعَثِ بِأَثْنَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقِيلَ بِعَشْرِ، وَلَمْ يُولَدْ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَحَدٌ قَبْلَهُ سِوَاهُ «نُورُ الْأَبْصَارِ: الشُّبْلَنْجِي الشَّافِعِي، صَفْحَةُ (٦٩) طَبْعُ مِصْرَ. وَرَاجِعُ عَبَّاسٍ مُحَمَّدٍ الْعَقَادُ: عِبْقَرِيَّةُ الْإِمَامِ صَفْحَةُ (٧٨) تَحْتَ عُنْوَانِ إِسْلَامِ عَلِيٍّ.

ويقول السيد محمود الألوسي في شرح قصيدة عبد الباقي العمري تعليقاً على قوله في علي؛

أنت العليُّ الذي فوق العُلَى رُفْعاً ببطن مكة عند البيت إذ وُضِعَا
يقول: وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمرٌ مشهور في الدنيا، وذكر في كتب الفريقين: السنة والشيعة.

- فقالت جادة: ولدته في بيت الله الحرام؟؟ كيف؟؟
 - حينما أحسّت بالمخاض، مضت إلى البيت العتيق،
 فوضعت هناك...

- إنه لشرف محلق... ويرمز إلى أشياء... لا أستطيع لها
 تفسيراً، إنما من أنبأك هذا؟؟

- أخي عبادة بن الصامت، وأخي سمعه من مصعب بن
 عمير...

- إن مصعب بن عمير لا ترقى إليه الشبهات...
 - وليس هذا فحسب... بل إن الله يَسِرُّ له أن ينشأ في بيت
 الرسول...

- وهذا شيء جديد لا أعرفه، ولكن، كيف نشأ في بيت
 الرسول؟؟

- لقد كفل أبو طالب ابن أخيه محمداً رسول الله، وكان عمره
 ثماني سنوات، فشب، في بيته... وعندما تزوج الرسول
 خديجة بنت خويلد، أخذ علياً إلى بيته، وكان طفلاً لم يتجاوز
 الثالثة من عمره، فترعرع في جنات النبوة خُلُقاً محمدياً (راجع
 الطبري: القسم الأول - ٢ - ص ١١٦٣/) وحين هبط جبريل
 على محمد يبلغه: إن الله اصطفاه رسولاً، وهادياً، للعالمين،
 كان علي أول المصلين معه...، فأنت ترين «أن علي بن أبي

= ثم يقول: «وما أخرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين
 وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين».

(راجع الشيخ الأميني: الغدير، المجلد السادس، صفحة ٢١-٣٨، طبع
 دار الكتاب العربي - بيروت.)

طالب، ولد مسلماً على الفطرة»^(١).

- صدقت، صدقت..

وتابعت تقول: وحين احتاج الرسول من يقدم نفسه فداءً له، ليهاجر من مكة إلى بلدتنا يثرب... لم يجد غير علي... فقد نام في فراشه،... وأنقذه من هلاك محتم، يُبْتِئُ له قريش... وبعد هجرة الرسول بثلاثة أيام، يترك علي المدينة، ويجلب معه الفواطم كما أمره رسول الله... وحين وصوله يستقبله نفحة حب، ويؤاخي بينه، وبين نفسه أمام المهاجرين والأنصار^(٢)...

- يا لعلي ما أمجده!!

- إن قريشاً تكره علياً كرهاً عاصفاً لأنه أبطل ما كانت أعدته من غدر بالرسول يوم هجرته...

- والرسول يبعث السرية بعد السرية، ترصد قوافل قريش الباغية... وحديث عبد الله بن جحش وسريته ومقتل ابن الحضرمي، وأسر المقداد بن الأسود، لابن كيسان... وإسلامه... هذه ما زالت تتردد في كل بيت من يثرب...

- ولقد علمت أن رسول الله، يترصد عيراً لقريش، هي، في طريق عودتها من رحلة تجارية إلى دمشق، ويتولى أمر القافلة أبو سفيان بن حرب الأموي، ولا يشك أحد في «يثرب» بأن

(١) عبد الكريم الخطيب: علي بن أبي طالب، صفحة (١٠١) طبعة ثانية (١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م) دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

(٢) العلامة محمد رضا: محمد رسول الله، ص (١٩٦) ط. ثانية - مصر.

معارك طاحنة ستدور بين المسلمين، والمشركون.

- صه، إني أسمع وقع أقدامٍ، وكأنها تقصدنا...

وتنظران معاً... فإذا رجلان قادمان من مسجد رسول الله (ص)، أحدهما طويل ممثليء الجسم، والآخر ربع القامة، وهما يتحادثان في أمر ما... ويبدو من انخفاض صوتيهما ولإقبالهما على بعضهما أن الحديث ذو خطرٍ عظيم..

ويدنوان منهما ببطء، فتنهض الفتاتان لتدخلتا أحد البيوت المفتوحة للنسيم الرطب، وهما تسمعان صاحب القامة الربعة يَهْمِسُ لرفيقه: اشْحَذْ سيفك جيداً يا مقداد، وأكرم فرسك، فإن لقاءنا قريباً في الأيام المقبلة سيعلي كلمة التوحيد.

- أجل، يا أخي، يا بن رواحة، وإني لمتعطشٌ إلى لقاء قريبش الظالمة، الكافرة.

* * *

وتُشرق شمسُ اليوم الثالث من شهر رمضان من العام الثاني للهجرة (٦٢٤م) تلقى بسبائك النسرين على الكون يقظة ونشاطاً.

لكانها سعيدةٌ بهذا اليوم المشهود الذي ترى فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بقيادة محمد رسول الله، ومعهم سبعون من الإبل يتعاقبونها، يتوجهون لملاقاة غير قريبش العائدة من دمشق، والتي يتولّى أمرها أبو سفيان الأموي، ومعه سبعون رجلاً.

وترى الرسول (ص) ينظم الجيش حين ابتعد عن المدينة

«يثرب»: فَيَسَلِّمُ رايته إلى علي بن أبي طالب، وَيُسَلِّمُ رايته
الأنصار إلى سعد بن عباد، ويجعل على الساقة، قيس بن
صعبصة أخا بني مازن من بني النجار^(١).

ويعضي أفراد هذا الجيش، عَبَقاً في التاريخ، تدب الغبطة في
إحساسهم، قشعريرةً لَذَّةً..

ما أسنى جلدكم!! ما أطيب نفوسهم!!
هو ذا رسول رب العالمين (ص)، يقودهم بنفسه إلى أول لقاء
مع المشركين، الظالمين..
إنهم، ليرون ذواتهم، لفرط حبورهم، وكأنما يرفون عقباناً
فوق همسات الأنسام الحاملة...

وكانوا يشعرون شعوراً منبعثاً من خلايا القلب، أن سيوفهم
الثلاثمائة، ستفتح للعرب باب التاريخ من جديد.. ليدخلوا منه
إلى الدنيا، حرية، وعدالة، وحضارة... فتخضوضر في قلوبهم
البطولات، ويزكو في سيوفهم الحماس، فيمضون وراء قائدهم
الأعظم، عاصفة بأس، وطاقاة عزم، وحزم..

ويعر الرسول (ص) بأمكنة كثيرة، وهو في مسيرته المستأنية،
لا يكاد يتلبث في أي منها إلا مقدار حَسْوِ الطائر...

ويرسل العيون إلى كل الجهات يأخذون أخبار أبي سفيان شيئاً
بعد شيء... ويظل في حركته الخفيفة، الناشطة، حتى يصل إلى

(١) تاريخ أبي الفداء - المجلد الأول، صفحة (٢٩) طبع دار الفكر - بيروت،
١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م. وراجع، أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني - المجلد
الثالث، صفحة (٣٥)، طبع دار الفكر - بيروت ١٩٥٥م.

وإِ، يقال له: «ذَفِرَان»، فيُنزل فيه، وهناك تتلاحق الأخبار لديه
سلسلةً، متصلة الحلقات...

يعلم، أن أبا سفيان، كان شديد الخذر من المسلمين، فهو
حين دخل أرض الحجاز، بعث بالجواسيس يترصدون
المسلمين...

ويُخبره هؤلاء الجواسيس، أن محمداً رسول الله (ص)، قد
استنفر أصحابه لمصادرة عيره... ولكي ينجو من الوقوع بين
يدي الرسول (ص)، فيستولي على الأموال ويشد بها أزره،
استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، وأرسله إلى مكة، يستنفر
قريشاً لإنقاذ أموالها من محمد (ص) الذي عرض لها...

ويذهب ضمضم على ناقته جناحي نسر... وفي صبيحة يوم،
يصغي الناس، وهم غادون كُلُّ إلى شأنه، إلى صوتٍ راعٍ
ينبعث من بطن وادي مكة، يقول: اي معشر قريش!!
اللطيمة، اللطيمة^(١)... أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها
محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها. الغوث. الغوث...

وينظر القوم إليه، وهو ماضٍ في هديره... فإذا هو قد قَلَبَ
ثيابه، علامة طلب النجدة..

ويتراكم القريشيون من كل جانب... فمن هنا صوتٌ
يعلو: محمد بن عبد الله عَرَضَ لأموالنا... ومن هناك أصوات
تنادي: إلى السلاح، إلى السلاح... أدركوا أموالكم...

(١) اللطيمة: القافلة التجارية.

وتضج مكة كلها بالحركة اللهيفة، السريعة، الإبل ترحل،
والخيول تسرج، ونداء الغضب، الحاقد، ينتاب في سماء مكة
أمواجاً... أمواجاً...

وفي بضع ساعات، يتجمع القوم جيشاً ضخماً...
إنهم يقسمون ليستأصلن محمداً وأصحابه...
ويتصاحكون هازئين: إن هذه غير عير ابن الحضرمي يا محمد
بن عبد الله؟؟

يحدثنا ابن هشام عن تلك الهزة المفاجئة التي دهمت قريشاً
فيقول: «تَجَهَّزَ الناس سراعاً، وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن
تكون كعير ابن الحضرمي، كلا، والله، ليعلمن غير ذلك، فكانوا
بين رجلين: إما خارج، وإما باعث مكانه رجلاً، وأوعبت قريش
(أي خرجت كلها)، فلم يَتَخَلَّفْ من أشرافها أحد... إلا أن أبا
هلب بن عبد المطلب تَخَلَّفَ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن
المغيرة، وكان قد لاط^(١) له بأربعة آلاف درهم، كانت له عليه،
أفلس بها، فاستأجره بها، على أن يجزيه عنه بعثه، فخرج عنه،
وتَخَلَّفَ أبو هلب»^(٢).

وهكذا تخرج قريش تتوعد الرسول وصحبه..

ويعلم الرسول (ص)، أن «عير» (القافلة) أبي سفيان، سترد
ماء «بدر»^(٣)، فيقصد بدرأ، ولكن أبا سفيان يظل الغراب

(١) لاط: احتبس، واستمسك أي أنه استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له ديناً عليه...
(٢) ابن هشام: السيرة النبوية - المجلد الثاني صفحة (٢٦٠ و ٢٦١) طبع بيروت
١٩٧١ م.

(٣) تبعد بدر عن «يثرب» مدينة الرسول (١٦٠) كيلومتراً، وكانت سوقاً للعرب =

الحذر، فيرسل «مجدى بن عمرو» يحوس الطريق المؤدية إلى بدر،
فيمضي هذا، ثم يعود، فيسأله: هل أَحَسَسْتَ أحداً؟؟

- ما رأيك أحداً أنكره، إلا أني قد رأيت راكبين، قد أناخا إلى
هذا التل، ثم استقيا في شِنٍّ لهما، ثم انطلقا...

ويسرع أبو سفيان إلى التل الذي أشار إليه مجدى متسللاً،
يواري شخصه بين الصخرة، والصخرة، حتى يصل مناخ راحتي
الرجلين، فيأخذ أبعاد جليلهما، فيفثُ البعر، فإذا فيه النوى،
فيقول لمجدى: هذه، والله علائف يثرب، ولا بُدَّ أن محمداً
وصحبه على مسافةٍ قريبةٍ منا...

ويرجع إلى أصحابه فرقاً، ويلاحظ عليه رجال القافلة
الاضطراب - يرون الصفرة في وجهه، والغصه في لسانه، فيقولون
له: ما بالك أبا سفيان؟؟

فيهتف بهم لاهثاً: اسلكوا طريقاً غير هذا، امضوا بنا شطر
الساحل، واجعلوا بديراً على يساركم. النجاء... النجاء...

ويلهثُ القوم ظهور «العير»، فتهرول مسرعةً تحت كَيِّ
السَّياط... ويبتعدون... ويبتعدون... وعندما يرى أبو سفيان
أنه صار بمنأى عن صولة الرسول (ص)، يرسل إلى قريش من
يقول: إنكم، إنما خرجتم لتمنعوا عيركم، ورجالكم، وأموالكم،
فقد نجت فارجعوا، وتبلغ قريشاً رسالة أبي سفيان، وهم في
طريقهم إلى بدر، فيهمد الغضب الثائر، وتنطفئ شعلة

= يجتمعون فيه كل سنة، أما اليوم فقد أصبح مكان موقعة بدر «مدينة» وسميت
مدينة بدر.

الحماس، ويعود إليهم اتزانهم...

لقد نجت العير، والرجال، والأموال، وظَلَلَتِ الجميع عافية السلام، وما عليهم إلا أن يرجعوا...

ولكنَّ أبا جهل بن هشام يصيح: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم عليه ثلاثًا، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونُسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، ويمسرينا، وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها، فامضوا...

فقال الأخنس بن شريق الثقفي، وكان حليفًا لبني زهرة: يا بني زهرة! لقد نَجَّى الله لكم أموالكم، وخَلَّصَ لكم صاحبكم غرمة بن نوفل، وإنما نفرتم لثمنعوه وماله، فاجعلوا بي جُبْنَهَا، وارجعوا، فإنه لا حاجة لكم أن تخرجوا في غير منفعة... فرجعوا... وينطلق الباقيون قُدْمًا إلى بدر...

ويسمع الرسول (ص)، بمقالة أبي جهل، واستجابة قريش له... إذن، فهذه قريش، أقبلت تحمل بغيتها، واستكبارها في الأرض...

فماذا يفعل؟؟

لقد خرج بالمسلمين، وقد أعدوا أنفسهم لمجاهدة أصحاب العير... أما الآن، فإن وجه المعركة قد تغير تغيراً كلياً...

كانت المعركة مع أصحاب العير سائغة الجهد، ولكنها أصبحت اليوم دماً يتوهج بنار آكلة...

ثلاثمائة رجل غذاء أحدهم حبات من التمر الجاف، يجابهون

قوى قريش التي تتلفى حقدًا، ولديها العدة الحربية التامة،
وطعامها لحوم الجزائر الغريضة...

إنها معركة، في حساب العدد والعدة، لا وجه للتكافؤ فيها..
ويسيح الرسول (ص) بتفكيره في مشارف الغد، وما بعده...
ثم يدعو المسلمين للاجتماع.

المقداد - والذي بعثك بالحق إننا معك مقاتلون...

ويُحْدِقُ الصُّحْبُ بالرسول، فإذا هو يقول لهم: أشيروا علي أيها
الناس!!

إنه يستشيرهم في أمر الحرب - حرب قريش القادمة لحماية
العير...

ويُغْلِقُ الصمْتُ الشفاه...

ويضغط المقداد على الزمن، فلا يترك له أن يتنفس لحظة،
ليأمل القوم فيما يجيبون به الرسول (ص)، بل ينهض ويقول:
«ابشر يا رسول الله!!! فوالله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل
لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. ولكن والذي
بعثك بالحق، إننا نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما
مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى «برك الغماد»^(١)
لجالدنا معك حتى تبلغه، ولنكونن بين يديك، ومن خلفك، وعن
يمينك وشمالك، أو يفتح الله تبارك وتعالى».

وتبرق أسارير النبي (ص) فرحاً، ويدعو له بخير^(٢)..

(١) برك الغماد: مدينة في الحبشة.

(٢) راجع، البداية والنهاية: ابن كثير - الجزء الثالث، ص (٢٦٢) طبعة أولى - =

وينظر في وجوه القوم، فيرى آثار الحمية التي أشعلتها كلمات
المقداد في العروق، تنعكس على الوجوه، إيجاباً، وقبولاً . . .

كل العيون الثابتة على الرسول (ص) تكاد تصرخ: نعم،
نحن معك يا رسول الله!!!

وفي جَوْ وَقْدَةِ الحماس هذه يقول الرسول (ص) ثانية، وعيناه
على الأنصار: أشيروا علي أيها الناس!!!

فيقول له سعد بن معاذ رأس الأنصار: والله، لكأنك تُريدنا يا
رسول الله!!!
- أجل.

- «لقد آمنا بك يا رسول الله، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت
به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدونا وموآثيقنا على السمع
والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر، وخضت له خضناه معك، ما يتخلف منا
رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، وإننا لصُبرُّ عند
الحرب، صُدِّقَ عند اللقاء، لعل الله تبارك وتعالى يُريك ما تقر به
عينك، فسر على بركة الله».

وتخضر في ثغر الرسول (ص) ابتسامة الرضى ويقول: سيروا
على بركة الله، وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين،
والله، لكأنني أنظر إلى مصارع القوم».

ويرتحل الرسول (ص) من «ذفران»، آخر محط رحالهم، وما

= بيروت ١٩٦٦ + ابن الأثير : الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، ص
(١٢٠) ط. بيروت ١٩٦٥ + ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب: الجزء
العاشر من ص ٢٨٥ - ٢٨٧، ط. الهند.

يزال في سيره حتى ينزل قريباً من بدر، وفي المساء يرسل علي بن أبي طالب (ع) والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، يرودون منطقة بدر، وبينما هم في تجوالهم، رأوا رجلين، جاءا يبغيان ماء بدر فانحطوا عليهما، وأخذوهما إلى رسول الله (ص)...

كان الرسول (ص) حين وصولهم مستغرقاً في صلاة تهب على الأصحاب سكونة، وتضعهم في أفياء ريانة من النعيم النفسي....

ويسألون الرجلين عندما يصلون: من أنتما؟؟

فقال أحدهم: أنا أسلم غلام بني الحجاج، وقال الآخر: أنا غريض بن يسار غلام بني العاص بن سعيد، ونحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء...

- سقاة لقريش؟؟

وينظر المسلمون إلى بعضهم، أصبح أن هذين سقاة لقريش؟؟

إن في أذهانهم، أنهم سقاة لأبي سفيان صاحب العير، وهذا ما يريدونه، فقالوا لهما: بل أنتما لأبي سفيان بن حرب... وجعلها الخوف يقولان: نحن لأبي سفيان...

ويتهيء الرسول (ص) من صلاته السُّبُوحية، ويحيي الرجلين يسمع منهما... وإذا هو يقول: صدقا والله، إنها لقريش...

ثم يتوجّه إليهما يسألهما: أخبراني، أين قريش؟؟
- هم وراء الكثيب العقنقل^(١).

(١) العقنقل: الوادي الواسع.

- كم القوم؟؟

- لا ندري، ولكنهم كثير... كثير...

- كم ينحرون كل يوم؟؟

- يوماً تسعاً، ويوماً عشراً..

وينظر الرسول (ص) إلى أصحابه ويقول: القوم بين التسعمائة والألف... ثم يقول للغلامين: من فيهم من أشرف قريش؟؟؟

- عتبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل هشام بن الحكم، وأمية بن خلف، ونبية ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن ود... و... و...

ومرة ثانية ينظر الرسول (ص) إلى أصحابه مستبشراً ويقول: «هذه مكة قد رَمَتْ إليكم بأفلاذ أكبادها»...

ويدركون إذ ذاك، أن أبا سفيان قد فاتتهم... وأنهم أصبحوا وجهاً لوجه مع قريش التي أبطرها الترف، ونفخ فيها الشوك دغله^(١)... ويرى الرسول (ص) أن يسبق قريشاً إلى ماء بدر، فيخرج بأصحابه حتى يحاذي ماءً من مياه بدر، فيتزل فيه... ثم لا يلبث أن ينهض بهم عملاً برأي المنذر بن حباب، حتى يأتي أدنى ماء من مياه القوم، فينزله... ثم يُعَوِّزُ^(٢) ما سواه من القُلُب^(٣)، ويبني عليه حوضاً، فيملاء ماءً، فيشرب المسلمون ولا تشرب قريش...

(١) دغله: فساد.

(٢) يعور: يردم.

(٣) القُلُب: جمع قلب، آبار الماء.

ثم يبني المسلمون للرسول (ص) عَرِيشاً من جريد ينزل فيه^(١).

وفي الصباح يرى رسول الله قريشاً، تُصَوِّبُ من الكتيب إلى الوادي، وحين يراهم، يدعو قائلاً: «اللهم!! هذي قريش، أقبلت بخيلائها، وفخرها، تحاذك، وتكذب رسولك، اللهم!! فنصرك الذي وعدتني. اللهم!! فاحنهم «الغداة»، ويرى الرسول (ص)، «عتبة بن ربيعة» بين القوم على جمل له أحمر، فيقول، إن يكن عند أحد منهم خير، فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه، يرشدوا».

وتنزل قريش عدوة الوادي القصوى^(٢) والمسلمون في العدو الدنيا^(٣). . . ويحيى القريشيون يردون الحوض الذي بناه المسلمون، فيأمر الرسول (ص) بأن يخللوا بينهم، وبين الماء. . .

ويقضي الفريقان يوم الخميس السادس عشر من شهر رمضان، في قَلَتِي، وحلر. . . ويبيطان يستعدان للمعركة. . .

ويشرع كُلُّ من قادة الفريقين يتلمس المعاذير لنفسه في إيقاد نيران الحرب. . .

(١) عريش: خيمة، وكان بناء هذا العريش أول عمل يقوم به العرب لقالد، وهو بمثابة غرفة العمليات الحربية في زمننا هذا، وقد أصبح اليوم مكانه مسجداً يسمى «مسجد العريش».

(٢) تصوب: تتحدر.

(٣) عدوة الوادي: شاطئه. ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا (من الوادي. أي القرية من المدينة) وهم بالعدوة القصوى (من الوادي. أي: البعيدة منها)﴾ (الجليلين) سورة الأنفال آية (٤٢).

كان الرسول (ص) على صراطٍ واضحٍ من أمره، فهو حين يضطر لحرب قریش، إنما يحاربها، لبغيها... وشركها... وطبقتها المستغلّة؛... المستعبدة... إنه يحاربها ليزيق الناس حلاوة الإيمان... ويحقق لهم: الحرية، والمحبة، والإخاء، والمساواة...

وسادة قریش إنما يحاربون الرسول (ص) إبقاءً على نظام: السادة والعبيد...

الاحتكار... الربا... منازعهم الارستقراطية للسيطرة على اقتصاد مكة... كل واحدة من هذه المشتبهات تضع في أيديهم سيفاً قاطعاً، ليحاربوا حتى النسمة الأخيرة من حياتهم...

أما الآلهة: هُبل، واللات، والعزى... و... فقد كانت شيئاً ثانوياً في حسابهم، وهم يرفعون لواءها تضليلاً للآخرين... ولو ترك لهم الرسول (ص) أن يتمرغوا في شهواتهم الجسدية، والنفسية، لأصبحوا من أنصاره الصادقين المؤمنين...

كان كُلُّ فريقٍ ينصاع لرغباته الذاتية التي يرى فيها مباحج الحياة التي يهواها...

وينام المسلمون، وفي قلوبهم عهدٌ لله ورسوله أن يحاربوا حتى يتقصّف بنيانُ الشرك...

ولم لا يحاربون، وهم بين إحدى الحسينين: إما استشهاداً في سبيل الله يحملهم إلى الملأ الأعلى، حيث الصفاء المنقّى من لفحات الأكدار... وإما نصر مؤزر على العدو الظالم، الثافر، يهد لإنشاء مدينة الإسلام الفاضلة...

ويُطل القمر، وهو في السادسة عشرة من عمره، قاني
الوجه،... قد عَنُقْتُ عليه الليالي، فمسحت ما يشبه
القلامة... من دائرته الفضية، فيظهر، وكأن به تشويهاً...
فينظر إليه رجلٌ من المسلمين، يتعهد فرساً له شقراء، يعدها
لمعركة الغد، ويقول: أنت خالد أيها القمر...!!، وستكون
معركة الغد خالدة،... وعندما تشرق غداً، ستراني هنا: إما
جثة هامة يعلوها التراب... وإما حياً، قد استحال بسمه من
ضياء لا تقل عن نورك إشراقاً...

ويعلو صوت خفيض من قرب، ينادي هذا الفارس الذي
يُسامر القمر قائلاً: يا مقدادا! إلى النوم يا مقدادا! فإن لجسدك
عليك حقاً كما قال رسول الله (ص)...

فيقول المقداد: سمعاً لك يا علي، وصدق رسول الله...

وفي معسكر قريش ظل قلب ساهر تتناوشه الهواجس... كان
ذلك قلب عتبة بن ربيعة، سيد قريش، في هذه البرية البعيدة
عن العمران...

كان الرجل، كأنما يسير في ضباب كثيف لا يتبين شيئاً
أمامه...

لقد نَجَتْ أموالهم من محمد بن عبد الله، فلماذا يحاربونه؟؟
ويتوجع قائلاً: لولا أبو جهل، لعدنا كما عاد بنو زهرة...
وانتهت الأمور إلى سلام...

إننا قسوننا على محمد ذي القرابة القريبة، حتى كدنا نسحق فيه
العظم، فلم كل هذا البغي، والعدوان؟؟؟

لماذا لا نذرهُ وشأنهُ، فإن كان صادقاً - وَكُنَّا يعلم أنه لم يكذب قط - وانتصر على العرب، فنحن أولى الناس بالإيمان بنبوته، ومبادئه... وإن انتصروا عليه، نُكْفَى أمره... وينتهي ما نخشاه...

ويعود بخاطره إلى مكة، ويتذكر «رؤيا» عاتكة بنت عبد المطلب...

ويتذكر قدوم ضمضم بعد رؤيا عاتكة بثلاثة أيام،... ويدع لخياله أن ينفلت ليصور له عاتكة تقص عليه منامها فتقول: «رأيْتُ راكباً يقبل على بعيره له حتى يقف بالأبطح، ويصرخ بأعلى صوته أن: انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث... وترى الناس يجتمعون إليه، وهو يدخل بيت الله الحرام، والناس يتبعونه... ثم تراه يصعد ببعيره على ظهر الكعبة، ثم يصرخ بأعلى صوته: انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث، ثم يمثل به بعيره على رأس «أبي قبيس» فيصرخ يمثلها، ثم يأخذ صخرة، فيرسلها، فتقبل تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل، ارفضت^(١)، فما يبقى بيت من بيوت مكة، ولا دار من دورها، إلا وتدخله منها فلقة»

ثم يسأل نفسه بعد أن سمع آخر كلمة من منامها: من هم «آل غدر» الذين يطلب إليهم هذا الراكب أن ينفروا...؟؟؟؟

هل هم... ويقف، فلا يكمل سؤاله... إنه يخشى أن يقول الكلمة الثالثة... بل، هو لا يريد أن ينطق بها...

(١) ارفضت: تحطمت وتفرقت، ارفض الشيء: تفرق وذهب، ومنه ارفض الناس عنه: أي تفرقوا.

ويستفض الرجل محاولاً أن يُبعد شَبَحَ أفكاره المذعر عن
خاطره... ويتقلب يميناً، ويساراً... ثم تعود إليه هواجسه...
فيتأمل في شأن قريش واستنفارها... ويقول: لقد نفرنا بعد
ثلاث من رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب... وقد والله اعتزمتنا
الغدر بمحمد مراراً كثيرة... فهل تكون مصارعنا هنا؟؟؟

ولكن، أف من أبي جهل؛.. يقولها متحرقاً... وتقلب به
الوساوس، والهواجس كل مُقلب... وأخيراً تأخذه سِنَّةٌ من
النوم، وهو في حالٍ مرهقٍ من: الضياع،... والشتات...
والتمزق النفسي...

ويستيقظ صباحاً باكراً على صوت مؤذن المسلمين ينادي
بصوت مبللٍ بنضارة الرقة: الله أكبر. الله أكبر...

المعركة الكبرى:

وتَهْلُ شمس يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان، على رأس
تسعة عشر شهراً من الهجرة (٦٢٤م)، تَهْلُ لِتَحْتَضِينَ مَفَاجَاتِ
خاطفة... ترفع للحرب راية الشفق الحمراء...

فهذا «عمير بن وهب الجمحي» يطوف بفروسه حول معسكر
المسلمين، يدرسه بنظرات، متأنيات، حادة... ثم يعود إلى
القريشيين ليقول لهم: إنهم ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلاً، أو
ينقصون قليلاً...

فيقول هؤلاء هازئين: ثلاثمائة رجل، ونحن ألف، لن يلبثوا
أمامنا إلا ساعة من نهار...

ويلبل قادة قريش قول عمير: ولكن، أمهلوني، حتى أنظر،
اللقوم كمين أو مدد؟؟؟

وينطلق في الوادي بعيداً، يُقَلِّي ببصره كل صخرة، كل
منعطف، كل وهدة، فلا يُبصر شيئاً يريه، فيرجع إليهم يقول: لم
أَرِ شيئاً، ولكن، يا معشر قريش!! قد رأيت الولايا^(١) تحمل
المنايا^(٢) - نواضح «يثرب» تحمل الموت الناقع، قومٌ ليس لهم
منعة، ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله، ما أرى أن يُقتل رجل
منهم، حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما
خير العيش بعد ذلك؟؟ فَرَوْا زَأْيَكُمْ...

ويسمع حكيم بن حزام كلمات عُمر فيرتعد، وَيَتَخَطَّى الناس
حتى يَأْتِي عتبة بن ربيعة، فيقول له: يا أبا الوليد!! إنك كبير
قريش الليلة، وسيدها، والمطاع فيها، فهل لك إلى أمرٍ، لا تزال
تذكر منه بخير إلى آخر الدهر؟؟

- وما ذاك يا حكيم؟؟

- ترجع بالناس، وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي.
- قد فعلتُ، وأنت على ذلك شهيد، إنما هو حليفي، فَعَلْتُ
عَقْلُهُ^(٣)، وما أصيب من ماله، فَأَتِ ابن الحنظلية (أبا جهل)،
فلما لا أخشى أن يسحر الناس سواه..

ثم قام خطيباً في الناس فقال: يا معشر قريش!! والله ما

(١) الولايا: ج وَلائية - مؤنث ولي: البرذعة.

(٢) المنايا: ج مية: الموت، ونواضح: ج، ناضحة: العير، يقول لهم: إنه
رأى إبل يثرب تحمل الموت، أي الأبطال الأشداء..

(٣) العقل: الدية، أي أنه يدفع «ثمن» دمه لأهله..

تصنعون أن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً .. والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل منكم ينظر في وجه رجل يكره النَّظَرَ إليه ... رجل قتل ابن عمه، وابن خاله، ورجلاً من عشيرته، فارجعوا، وخلّوا بين محمد، وسائر العرب، فإن أصابوه، فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك، أَلْفَاكُمْ ولم تعدموا منه ما تريدون».

وَيَنْفُ حَكِيم بن حزام إلى أبي جهل، يعرض عليه رأي عتبة بن ربيعة، فيقول أبو جهل بانفعال متكبر: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ...

ويبعث أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي، شقيق عمرو، يأمره أن ينشد حقوقه، ومقتل أخيه، فيقوم عامراً هذا، وينادي بنداء الجاهلية الأولى: واعمره!! واعمره!!

فيحمي الناس للحرب ... ويشرع القرشيون بالاستعداد ... وفي الوقت نفسه كان الرسول (ص) يعيى المسلمين صفوفاً متراصة^(١) لمواجهة المشركين إذا عزموا حرباً ...

ويقسم الأسود بن عبد الأسد المخزومي، قبل أن ينتهي الرسول (ص) من تسوية الصفوف، ليشرّب من حوض المسلمين ... ويشرع سيفه، ويمضي مستهتراً عنيداً ليبرّ بقسمه: ..

(١) متراصة: متضامة، ملتصق بعضها ببعض، وكانت أول مرة في تاريخ العرب، يرتب الجيش صفوفاً متلاصقة، بدلاً من القتال الفوضوي السائد في ذلك الزمن، والذي كان يعتمد الكر والفر ...

وعندما يخطو الأسود شطر الحوض، يبلغ عتبة قول أبي جهل... فإذا نخوته الجاهلية تهب في كبد... إذا هو ينسى كل شيء... ويستحيل من حكيم، يعالج الأحداث بمنطق الوعي، إلى جاهلي عرييد... إذا هو يقول: أبعيرني أبو جهل بالجن؟

سيعلم من ينتفخ سحره، هو، أم أنا؟

ثم يطلب بيضة يغطي بها رأسه... ولما لم يجد... يعظمها... يعتجر^(١) على رأسه ببرد له، ثم يخرج للمبارزة بين: أخيه شبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة...

وقبل أن يفصلوا من صف قريش، يرون الحمزة بن عبد المطلب، يخرج إلى الأسود المخزومي، فيقتله في الحوض... فتتورم حمية عتبة، ويسرع إلى الميدان يطلب المبارزة..

ويخرج إلى عتبة وأخيه وابنه ثلاثة من شبان الأنصار هم: معوذ، وعوذ ابنا الحارث، وعبد الله بن رواحة، فيقول لهم عتبة: من أنتم؟

- رهط من الأنصار...

- ما لنا بكم حاجة... هم لا ينازلون الأنصار، لأنهم، لا يرونها أكفاء لهم، ولذا ينادي مناديم: يا محمدا! أخرج إلينا أكفأنا من قومنا..

وينادي الرسول عمه حمزة بن عبد المطلب، وابن عمه علي بن

(١) اعتجر: لفَّ عمامته، ومنه المعجر: ثوبٌ تشده المرأة على رأسها.

أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، ويحدثنا ابن هشام عن هذه المبارزة فيقول: «فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال علي (ع): علي، وقال حمزة: حمزة...»

قالوا: نعم، أكفاء، كرام...

فبارز عبيدة وكان أسنَّ القوم عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة، وبارز علي (ع) الوليد بن عتبة... فلما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي (ع) فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبتَّ (جرح) صاحبه، وكر علي (ع) وحمزة بأسيا فها على عتبة، فذففا عليه (قتلاه)، واحتملا صاحبهما، فحازاه إلى أصحابه^(١)...

ويرى القرشيون أربعة من أشرفهم الأبطال يخرجون صرعى في دقائق معدودات، فيتنادون إلى الزحف على المسلمين...

ويطلب الرسول (ص) من أصحابه، أن لا يزحفوا إلى حين يأمرهم،... ثم يُوزَّع بينهم «كلمة السر» ليتعارفوا بها، إذا اختلطوا بالمشرّكين أثناء القتال، وكانت «أحد. أحد»^(٢): ثم يقول لهم: إذا اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل...

فيثبتون في مكانهم... ويرشقون المشركين بصيِّب من النبال الهادرة... فيهدأ الزحف، ويلجأ أولئك إلى سهامهم يرمون

(١) ابن هشام: السيرة - المجلد الثاني، صفحة (٢٧٧)، ط. ٣. الثالثة - بيروت ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

(٢) كانت أزياء المشركين والمسلمين متشابهة، فوضع لهم الرسول «كلمة» يتعارفون بها دفعا للالباس، فكانت أول كلمة للتعرف في تاريخ العرب...

المسلمين، فيقتلون رجلين منهم هما: مهجع مولى لعمر بن الخطاب، وحارثة بن سراقة من بني عدي بن النجار، فيخرج الرسول (ص) عند ذلك من العريش، يجرّض المسلمين على القتال، ويأمرهم بالزحف، ويقول: والذي نفسي بيده، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة...

ويطير المسلمون إلى جحيم المعركة، وكأنهم أرمية الحميم... ويهتف أحدهم، وهو عمير بن الحمام، وكان في يده ثمرات يشد بها صُلبه...: بَخْ، بَخْ، أما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟؟؟

ويقذف بالثمرات من يده، ويأخذ سيفه ينقض به صاعقة على «قريش المشرك»، وهو يرتجز:

ركضاً إلى الله بغير زادٍ إلا التقى، وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زادٍ عرضة النفاق
غير التقى، والبر والرشاد

وما يزال يضرب بسيفه، فيجرح، ويقتل، حتى نَعَمَ الله نفسه بالشهادة...

ويتقدم ثانياً إلى رسول الله (ص) يقول له: ما يرضي الرب من عبده؟؟
- غمسه يَدُه في العدو حاسراً...

فينزع عنه درعه، ويرمي بها بعيداً، ويشهر سيفه لفتح سموم، يكسح به المشركين، وما يزال يصول، ويجول حتى يُكفّن بنور الشهادة...

ويأخذ الرسول (ص) حفنةً من الحصباء، ويقذف بها مشركي قريش، ويقول: شأته الوجوه، ثم يقول للمسلمين: شدوا عليهم، وتشهد بدر وثبات البطولات البكر...

تشهد سراوات الأبطال يقتحمون غاب الموت، وهم يزأرون: أحد. أحد. أحد. فإذا الرؤوس تنهاوى، والأوصال تبتز، والأجساد تنزف معيماً من الدماء...

وتمر الساعات هولاً صادعاً... ثم تنجلي المعركة الطاحنة عن قريش المتغطسة، تعطي ظهورها للمسلمين، بعدما تركت وراءها سبعين قتيلاً، وسبعين أسيراً... بينهم معظم أشرف قريش الذين خاضوا غمرات المعركة، وفي طليعتهم عدو الإسلام الأول أبو جهل^(١) أما أبو لهب عدو الإسلام الثاني فإنه يموت كمدأ بعد وقعة بدر بتسعة أيام ويخسر المسلمون أربعة عشر شهيداً...

ويلاحظ الرسول (ص) أن سعد بن معاذ يكره أن يأسر المسلمون المشركين، فيقول له: لكأنك تكره ذلك يا سعد!!

- أجل يا رسول الله، أول وقعة أوقعها الله بالمشركين، كان الإثخان أحب إلي من استبقاء الرجال^(٢).

(١) اشترك في قتله ثلاثة، معاذ بن عمرو بن الجموح ضربه ففقط رجله، ثم مرَّ به معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته، وتركه وبه رمق، ثم جاء ابن مسعود، فداس عنقه وقطع رأسه، ابن الأثير: الكامل - ج ٢، ص ٨٣، ط. بيروت.
(٢) راجع ابن الأثير: الكامل - الجزء الثاني، ص (٨٢) ط. بيروت ١٩٥٥، وراجع ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج - المجلد الثالث - الجزء ١٨ ١٩، ص (٥١٩) طبع دار الفكر - بيروت ١٩٥٤، وراجع، صابر محمود

ويتحدث الأستاذ عبد الحميد جودة السحار في كتابه «غزوة بدر» عن أبطال بدر فيقول: «وراح علي بن أبي طالب يفعل بقريش الأفاعيل، فما من بيت شرف في قريش، إلا وقد قتل منه رئيساً... فكان فتى بدر»^(١).

وتنتهي «معركة بدر». وقد أُرْسَتْ في قلب الزمن أعمدة صرح الإسلام المقطوعة من جبال الخلود الخضراء...

وترسم هذه المعركة في رحم الغيب جنين الحضارة العربية - الإسلامية، التي امتدت قروناً طويلة من نهر «الغانج» في الهند شرقاً، إلى نهر «المانج» في أوروبا غرباً، ويسمي القرآن الكريم، يوم بدر، يوم الفرقان^(٢).

ويُدَوِّنُ تاريخ الإسلام أخبار هذه الواقعة، وسوف يأخذ بالباب الناس - ما بقي الناس - حينما يقرؤون ملحمة بدر رجلاً هماً: علي بن أبي طالب (ع) الذي برز سيراً بطولاً مدهشاً إذ بلغ عدد الذين قتلهم، وشارك في قتلهم النصف...

«وقتل جملة المسلمين والملائكة النصف الآخر»^(٣).

= خريج الجامع الأزهر في كتابه: سعد بن معاذ سيد الأوس، صفحة (١١) حيث تراه يقول: ولما انتهت المعركة بالنصر المبين، وتَمَّ فداء أسرى المشركين، أنزل الله آياته مؤيدةً لرأي سعد بن معاذ، فقال سبحانه: ﴿وَما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ (الأنفال: آية ٦٧)، ورغم ثبوت ذلك لسعد فإن البغض ينسونه لعمر بن الخطاب.

(١) عبد الحميد جودة السحار: غزوة بدر صفحة (٦٥ و٦٦) دار الطباعة، مصر.

(٢) سماه يوم الفرقان لأن الله نصر فيه الحق على الباطل، وفرق بينهما.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح النهج - المجلد الأول - الجزء الأول، صفحة (٨) طبع دار الفكر - بيروت، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م.



والمقداد بن الأسود الكندي.
يقول عبد الله بن مسعود: «شهدتُ من المقداد بن الأسود
مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إليّ مما في الأرض من كل
شيء».

«كان رجلاً فارساً، وكان رسول الله إذا غضب احمرّت

وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحال فقال له: ابشر، يا رسول الله!!! فوالله، لا نقول لك، كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكننا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون.

فرايئ النبي أشرق وجهه، وسره ذلك^(١).

المقداد يبدأ المعركة بروح بطولي مترع بالإخلاص، والإقدام على التضحية... وَيُؤَجِّجُ في حنايا الصدور جدوة الحماس... وَيَسْتَلُّ منها التردد والخوف،... ويجعل المسرة تنضرب وجه رسول الله (ص)...

وقد كان في جوف المعركة على فرسه «سَبَّحَة» سيلاً دُفَاقاً، ما وقف أمامه فارس إلا حَطَّمَهُ....

وأخذ أسيراً النضر بن الحارث الذي كان من قمم قریش في عداوته لله ورسوله (ص)^(٢).

كلاهما: علي بن أبي طالب (ص)، والمقداد بن الأسود الكندي، استوى في التاريخ الإسلامي، جدول عبير تطيب منه البطولات، والإخلاص للمبادئ والعقائد...

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة - الجزء الأول، ط. ١، في الهند، ص (١٦٧) و(١٦٨) نقلاً عن مسند الإمام أحمد بن حنبل، وراجع ابن الأثير: الكامل: المجلد الثاني، صفحة (٧٣) ط. بيروت ١٩٦٥ - البخاري: الجزء الخامس: ص (٩٣) مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ.
(٢) قتله علي بأمر الرسول.

معركة أحد^(١)

وترجع قريش من بدر فلولاً مُشَلَّعة ينتهبها الذعر
والدهول...

وفي مكة يجتمع شمل تلك الفلول...
وهناك يلتفتون إلى مجالس القادة في ناديهم...
القادة الذين كانوا عيون المجالس شرفاً... وعنقوان
حمية...

فيرونها خاوية... ترهق وجوها غبرة الأحزان...
أين أولئك الغطارفة؟؟

لقد حصدتهم سيوف الله في بدر...
يا لَمَكَّة ما أتعسها!! إنها تبدو، وكأنها لوحة شهواء، دامعة،
دامية...

أهكذا، وفي مثل أنة الأوتار، يغدو السادة الأعلون جيفاً
غارقة في أوحال البلى؟؟

إنها لفاجعة زرقاء نشرت بؤسها على كل بيت في مكة.
هذا حلم ابنة عبد المطلب الذي هزيء منه أبو جهل،
وتَغَامَزَ له الآخرون، يُصبح حقيقة...

وتنسكب الدموع من العيون عساها تُلَطَّفُ من حرّ الأسى
المتغلغل في كل جارحة.

(١) يقول ابن كثير في الجزء الرابع من البداية والنهاية ص (٩): سُمي أحد،
أحداً، لتوحده من بين تلك الجبال...

ويرتفع للنواح راية سوداء، تظلل سماء مكة، فتجعل من
نهارها ليلاً...

ويأتي أبو سفيان، وقد أصبح سيد قريش، فيصرخ: لا، لا
تبكوا عليهم، فيشمت بنا محمد وصحبه، ولكن تأهبوا للأخذ
بالثأر...

وهذه الأموال التي خلصنا بها من محمد، تعالوا نرصدها
للمعركة القادمة...

وتعجبهم مقالة أبي سفيان، فيهدأ الرنين... وتيسس الدموع
في العيون... لتتحول إلى كبت يتفاعل مع العواطف المشبوية
فيولد حقداً شرساً ضارياً...

ويروح أبو سفيان يهيء للحرب القادمة المُعدَّة والعتاد...
وتذهب الأيام بطيئات حَزَانِي..

ويخيل لقريش: أن كل يوم يمر ينفت دخاناً حاراً تمتصه
خلايا القلوب، فتختنق؛... تحترق... نبضة... نبضة.

وفيما يلي يقدم إلينا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صورة
تكشف لنا عن معاناتهم النفسية في كبح أحزانهم فيقول: «كان
الأسود بن عبد يغوث، قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن
الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن الأسود، وكان يحب
أن ييكي على بنيه، فبينما هو كذلك، إذ سمع نائحة من الليل،
فقال لغلام له، وقد ذهب بصره: انظر، هل أحل النحب؟؟؟

هل بكت قريش على قتلها، لعلِّي أبكي على أبي حكيمة،
فإن جوفي قد احترق؟؟؟

فلما رجع إليه الغلام قال له : إنما هي امرأة تبكي على بعير
لها أضلّته ، فقال :

أتبكي أن يضل لها بعيرٌ ويمنعها من النوم السهودُ
فلا تبكي عليّ بكّرٍ ، ولكن عليّ بدر تقاصرت الجدود
عليّ بدر سراً بني هصيصٍ ومخزومٍ ، ورهط أبي الوليد
وبكّي ، إن بكيت على عقيلٍ وبكّي حارثاً أسدّ الأسود
وبكّهم ، ولا تسمي جميعاً فما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجالٌ ولولا يوم بدر لم «يسودوا»^(١)

وبعد أن تَحَرَّقَ الأفئدة كتباً ، وكمدأ تسمع قریش
بالبكاء . . .

فتفجر مكة بُركاناً فواراً بالدموع ، والآهات ، والحسرات . . .



وتتابع الليالي مسيرتها الزمنية حتّى تصبح أشهراً . . . وشرر
الحقد القابع في خبايا الضمائر ، يثور بين حين ، وآخر ، يحض
على قتال رسول الله (ص) . . .

وسادة قریش ، لم يكونوا نوماً خلال هذه الأشهر . . . بل كانوا
يُعدون للقاء المسلمين أحسن ما يستطيعون من قوة . . .

ثم ينحبك رأيهم ، على أن يضيفوا لقوتهم مدداً يصبحون معه
أرعى عزماً . . . فيبعثون إلى القبائل العربية يستنصرونها على نبي
الهدى (ص) ، وفي ذلك يقول الواقدي : «فأَجَمَعَ القریشيون ،

(١) راجع ، الطبري : القسم الأول ، صفحة ١٣٤٢ ، و١٣٤٣ ، ط . مكتبة خياط -
بيروت .

على أن يبعثوا أربعةً من قريش، يسرون في العرب يدعونهم إلى نصرهم؛ فبعثوا عمرو بن العاص، وهبيرة بن وهب، وأبا عزة الجمحي^(١) فخرجوا، فألبوا العرب، وبلغوا ثقيفاً فأرغبوا^(٢).

وفي أقل من عام، تمكن المشركون من قريش أن يُجهزوا حملةً قوامها: ثلاثة آلاف رجل، منهم سبعمائة يلبسون الدروع، ومئتا فارس، وثلاثة آلاف بعير - خرجوا بهذه القوة الضخمة ليغزوا المسلمين... وأخرجوا معهم نساءهم كي يحرضن على القتال... وليثبتوا، فلا ينهزمون، ويتركهن سبايا...

وعندما يصلون «الأبواء»^(٣) حيث مدفن السيدة آمنة بنت وهب، والسدة رسول الله (ص)، يرى بعضهم أن يتبش قبرها... فيحمل أبو سفيان هذا الرأي إلى وجوه القوم... ويقول: «إن النساء عورة، فإن يصب محمد من نسائك أحدًا، قلت: هذه رمة أمك، فإن كان برًا بأمه، كما يزعم، فلعمري، ليفادىكم برمة أمه، وإن لم يظفر بأحدٍ من نسائك، فلعمري ليفدين رمة أمه بمال كثير».

ولكن أهل الرأي منهم يقولون: لا تذكر من هذا شيئاً يا أبا سفيان، فلو فعلنا، نبشت بنو بكر، وخزاعة موتانا، فرفض الرأي...

(١) أبو عزة الجمحي، أسره المسلمون يوم بدر، وعفا عنه رسول الله، معاهده أن لا يحاربه، ثم نكث العهد.

(٢) راجع، ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة - المجلد الثالث، ص (٥٤١ و ٥٤٢) ط. دار الفكر - بيروت - ابن هشام: السيرة النبوية - المجلد الثالث، ص (٦٤) ط. الثالثة - بيروت ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

(٣) الأبواء: مكان يقع بين مكة والمدينة المنورة.

وفي يوم الخميس لخمس خلون من شهر شوال، كانت قريش «بذي الحليفة»، وفي هذا اليوم يمضي على خروجهم عشرة أيام من مكة... وينزل فرسانهم (بالوطا)...

وفي الوطا يشاهد أنس، ومؤنس ابنا فضالة اللذان بعثهما الرسول (ص) عيناً على المشركين - يشاهدان قريشاً، فيرجعان إلى «يثرب» يخبران رسول الله (ص).

ويترك المشركون إبلهم ترعى زروع الأنصار هناك، حتى تذرها وما بها خضراء...

وتوصف للرسول (ص) كثرة المشركين... وما معهم من خيول، وإبل، ونساء، فيعرف عدد رجالهم... ويعرف الغاية التي أرادوها من إخراج النساء معهم...

ويقدم سلمة بن سلامة على الرسول (ص) يوم الجمعة يخبره: أن عشرة من طلائع فرسان المشركين، أغاروا عليه، وهو «بالعرض» وأنه ثبت لهم على مكان مرتفع يرشقهم بالنبل حيناً، وبالحجارة حيناً، حتى انصرفوا...

ويسرع وجوه الصحابة إلى الرسول (ص) يتدارسون معه خطة لقاء «قريش المشركة»، فيطلب، أن يُبدي كل منهم رأيه...

وتتشعب الآراء، وتختلف، فبعض ذوي السن والتجربة منهم يرون: أن يظلوا في «يثرب»، فإذا دخلها عليهم المشركون صادوهم من أسطح المنازل، ومن الحصون، كما تصاد حمر الوحش، وأعادوهم خاسئين...

وأما الشبان، وقليل من ذوي السن، فيرون أن يخرجوا للقائهم...

قال إياس بن أوس بن عتيك، وهو يمثل طموح الشباب، ونخوته: يا رسول الله!! لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها فتقول: حصرنا محمداً في صياصي^(١) يثرب، وأطمها^(٢)، فتكون هذه جراءة لقريش، وقد رعوا زروعنا، ووطؤوا سَعَفنا^(٣)، فإذا لم نذبْ عن عرضنا، فلم نذرع؟

ولقد كنا في جاهليتنا يا رسول الله، والعرب يأتوننا، فلا يطعمون بهذا منا، حتى نخرج إليهم بأسيا فنا، ونحن اليوم أحرُّ، إذ أمدنا الله بك، وعرفنا مصيرنا، لا نحصر أنفسنا في بيوتنا.

ويقوم أبو خيثمة، أبو سعد بن خيثمة، وهو يمثل رأي بعض الشيوخ فيقول: يا رسول الله!!

«إن قريشاً مكثت حولاً تجمع الجموع، وتستجلب العرب في بواديها، ومن اتبعها من أحابيشها، ثم جاؤونا، وقد قادوا الخيل، واعتلوا الإبل، حتى نزلوا بساحتنا، فيحصبوننا في بيوتنا وصياصينا، ثم يرجعون وافرین، لَمْ يُكَلِّمُوا، فيجرؤهم ذلك علينا، حتى يشنوا الغارات علينا، ويصيبوا أطلالنا، ويضعوا العيون والأرصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجتريء علينا العرب حولنا، حتى يطعموا فينا، إذا رأونا لم نخرج إليهم، فنذبهم عن حريمنا، وعسى الله أن يظفرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الأخرى، فهي الشهادة».

(١) صياصي: حصون.

(٢) أطم: الحصن، وجمعها: أطام.

(٣) سعفنا: نخيلنا.

ويمضي ملقياً بكلماته وقوداً في الإحساس فيقول: «لقد أخطأتني وقعة بدر، وقد كنت عليها حريصاً، لقد بلغ من حرصي، أن ساهمتُ ابني في الخروج، فرزق الشهادة، وقد كنت حريصاً على الشهادة، وقد رأيت ابني البارحة في النوم، في أحسن صورة، يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، وهو يقول: الحقُّ بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدتُ ما وعدني ربي حقاً...»

ثم يخاطب الرسول (ص) قائلاً: لقد أصبحتُ مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سِنِّي، ودقَّ عظمي، وأحببت لقاء ربي، فادع الله، يا رسول الله، أن يرزقني الشهادة، ومرافقة سعدٍ في الجنة^(١).

ويقول أنس بن قتادة: يا رسول الله!! هي إحدى الحسينين: إما الشهادة، وإما الغنيمة والظفر بقتل المشركين...

ويتسم الرسول (ص) لهذا الحماس المتدفق نهراً من الإخلاص للعقيدة... وحب الاستشهاد في سبيل الله، ويقول لهم: إني أخاف عليكم الهزيمة...

فيزداد حماسهم اشتعلاً... ويأبون إلا أن يخرجوا للصراع مع المشركين خارج المدينة...

ويرى الرسول (ص) هذه الطاقة، العارمة، المتوتبة، التي تضج بها أرواحهم، فيقرر أن يستجيب لرغبة الأكثرية المتعطشة لمجادة الشرك، والطغيان...

وفي صبيحة يوم الجمعة السادس من شوال من العام الثالث

(١) دعا له الرسول فنال الشهادة في أحد.

للهجرة، يخطب الرسول (ص)، فيعظهم، ثم يأمرهم بالاجتهاد، ويخبرهم أن النصر لهم ما صبروا، ويعلمهم متوجه إلى حرب «قريش المشركة» ومن معها...

فتطل الفرحة من العيون... ويأخذون بالتهيو للإسلام...

ويصلي الرسول (ص) العصر بالناس.... ويخرج المسجد، بعدما خرج الناس، فيرى هدير العزم، والنمى ينعكس من قلوب الجماهير، على الوجوه، وفي الحركات بشراً، وثباتاً...

ولمحة إثر لمحة، فإذا غابة كثيفة تغطي رحاب المسجد، حوله، وتغص بها شوارع المدينة...

كانت القلوب تنبض بسرعة، وكل نبضة تزمجر: نحن لرسول الله!!!

وتنبعث من بين شفتي رسول الله (ص) ابتسامة رض ويدخل بيته، يلبس آلة حربه...

ويقف جند الرحمن ينتظرون خروج رسول الله (ص)... وفي هذه اللحظات يواجه سعد بن معاذ، وأسيد بن الناس فيقولان: قلتم لرسول الله (ص) ما قلتم، واستكره على الخروج، والأمر يتنزل عليه من السماء، فردوا الأمر فما أمركم فافعلوه، وما رأيتم فيه هوى له، أو أدباً فأطيعوه.

ويصغي هؤلاء إلى هذه الكلمات التي ينطف منها الحكمة، والتعقل، فتدهمهم الحيرة...

إنهم لَعَلَى مثل قلب الطهر نقاءً، في جبههم لرسول الله
... (ص)

وإنهم لعلَى بصيرة من صفاء عقائدهم...
وإنهم لعلَى بينة من صدقهم في لقاء عبيد الشرك، وسادة
البنغي...
وإنهم، إنما فعلوا ما فعلوا ابتغاء مرضاة الله ورسوله
... (ص)

إذن، فكيف يقول سعد، وأسيد، ما يقولان؟؟

يقولان: إنما استكرهناه على الخروج..
معاذ الله. لقد طلب منا إبداء آرائنا، وإن الكلمات التي
نطقنا بها، إنما هي مشاعر أرواحنا، كانت تفيض على ألسنتنا
حباً، وإخلاصاً، وحرصاً على التضحية حتى تكون كلمة الله
هي العليا، وحتى ينمحق الطغيان من الدنيا...
وإذا كان الرسول (ص) غير راضٍ بالخروج إليهم، فلا والله
لا نخرج، ولا نعمل إلا بما يراه...
وبينا هذه الأفكار تتحرك لَمَعَ بَرَقٌ في وجدان كلٍّ منهم،
يخرج الرسول (ص) لباساً لامة حربه... وقد لبس الدرع
فأظهرها، وحزم وسطها بمنطقةٍ من حمائل من آدم، واعتَمَّ،
وَتَقَلَّدَ السيف...
ويتقدم إليه نفر من الذين كانوا يلحون عليه بالخروج،
فيقولون بلهجة رازحةٍ بالخشوع: ما كان لنا أن نستكرهك،
والأمر لله ثم إليك...
فيقول: لا ينبغي لنبِيٍّ إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم

الله بينه وبين أعدائه ...

ثم يقول لهم: انظروا ما أمرتكم به، فاتبعوه، امضوا على اسم الله، فلكم النصر ما صبرتم ...

ويركب الرسول (ص) فرسه، وفي خاطره أن ينازل المشركين في أحد، فيسلك طريق «البدائع»، ثم زقاق الحسنى، فالشيخين^(١)، وفي هذا المكان يُجري عرضاً للجيش، فإذا هو ألف، منهم مائة دارعون، وخمسون من الرماة ... وعدد من الفرسان على رأسهم المقداد بن الأسود الكندي ...

ويشاهد الرسول (ص) بين المسلمين بعض الغلمان، فيأمر بردهم، فيقول ظهير بن رافع: يا رسول الله!! إنَّ رافع بن خديج رام يُعينني، ولكي يثبت رافع أنه على مستوى الرجال طولاً، أخذ يتناول على أصابع رجله، فيسمح له الرسول بحضور المعركة ...

ويجيء سمرة بن جندب إلى مري بن سنان الحارثي^(٢) يقول باكياً: يا أبت!! أجاز رسول الله رافع بن خديج وردني، وأنا أصرع رافعاً، فيأتي مري رسول الله (ص) يقول له: يا رسول الله!! رددت ابني، وأجزت رافع بن خديج وابني يصصره ... ويتصارع الغلامان، فيصرع سمرة رافعاً، فيجيزه رسول الله (ص) ...

(١) الشيخان: جبلان كان ينزل فيهما في الجاهلية شيخان: رجل، وعجوز، كلاهما أعمى، فسُمِّيَ الجبلان بهذا الاسم.
(٢) مري بن سنان زوج أم سمرة بن جندب ...

هكذا، تصميم على التضحية، وإقداماً على الموت حتى من الصبيان...

إنها مبادئ الإسلام، وعقائده التي صاغت الجميع خلقاً جديداً، حميداً...

ويعلم المشركون أن رسول الله (ص) نزل «الشيخين»، فيجمعون خيلهم، وظهرهم، ويرتبون حرساً بقيادة عكرمة بن أبي جهل في خيلٍ منهم، ويتولى حراسة المسلمين خمسون رجلاً تحت إمرة محمد بن مسلمة بأمرٍ من رسول الله (ص).

وبعد صلاة العشاء ينام الرسول؛... حتى إذا كان السحر استيقظ وقال: أين الأدلاء؟؟ أما من رجلٍ يدلنا على الطريق،... ويخرجنا على القوم من كذب؟؟

فيقوم أبو خيثمة الحارثي ويقول: أنا يا رسول الله !!!

فيخرج بالمسلمين، ويسلك بهم في بني حارثة، وبين أموالهم، حتى ينتهي إلى موضع القنطرة، فيأمر الرسول (ص) بلالاً بالأذان، ويصلي الصبح، وهناك، يتركه المنافق عبد الله بن أبي سلول، ويرجع في ثلاثمائة ممن خادعهم فاطاعوه...

ويحاول عبد الله بن حرام، أخو بني سلمة أن يرده، فيأبى، محتجاً بأن رسول الله (ص)، عمل برأي الشبان، ولم يعمل برأيه، فيقول له عبد الله، ولمن معه: أبعذكم الله، إن الله سيغني النبي (ص) والمؤمنين عن نصركم، ويعود عبد الله راكضاً حتى يلحق بالنبي (ص) في أحد...

«استراتيجية» الرسول (ص) الحربية:

عسكر رسول الله في الشعب من أحد في مرتفع الوادي، في جنوب جبل أحد، ورتب ميمنة وميسرة، وجعل جبل أحد خلف ظهره، والمدينة (يثرب) أمامه، ثم وضع الرماة الخمسين على جبل «عنين»، وأمر عليهم عبد الله بن جبير، أخا بني عمرو بن عوف، وهو معلم يومئذ بثياب بيض...

ويخطب الرسول (ص) في الرماة فيقول لهم: لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم، وإن رأيتموهم ظهورا علي فلا تعينونا، وانضحوا عنا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا... وأمر على الخيل المقداد بن الأسود الكندي، والزيبر بن العوام^(١)...

وهكذا أصبح المسلمون في عدوة الوادي، جَبَلُ أُحُدٍ خَلْفَهُ ظُهُورُهُمْ، وَعَيْنٌ عَنْ يَسَارِهِمْ، وَالْمَدِينَةُ أَمَامَهُمْ عَلَى بَعْدِ خَمْسَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ...

ويأتي المشركون، فيحتلون الموقع المنخفض م الوادي... فتغدو المدينة وراءهم، وجبل الرماة (عنين) ع يمينهم، وأحد أمامهم... وهم على بعد (٤٢٠) كيلومتراً من مكة... ويقيم هؤلاء ميمنة وميسرة، ويولون على الخيل وهي م فرس خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل^(٢)، وعلى الره

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ - المجلد الثاني، ص (١٢٠) ط، بيروت ١٩٦٥.

(٢) يقول الطبري: «وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين، ومعه عكرمة أبي جهل» راجع الطبري: القسم الأول ٣ - العام الثالث، ص ١٣٩٤ و ٣٩٥

وكانوا مئة عبد الله بن أبي ربيعة... ويدفعون اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة - أحد بني عبد الدار بن قصي، ويصفون نساءهم وراء الجيش تحت حراسة عبيدهم...

ولما رأى الرسول (ص) المشركين يسلمون اللواء لبني عبد الدار، يأخذ اللواء من علي بن أبي طالب، ويدفعه إلى مصعب بن عمير لأنه من بني عبد الدار...

على هذا الوجه يتقابل الجيشان - جيش «قريش المشركة الباغية» التي جاءت تحمل حقداً لا يطفىء لهاته إلا الدم الإسلامي...

وجيش المسلمين العقائدي الذي تجري في وجوده «إيديولوجية» الإسلام: بصيرة، وهدى، وبطولة...

الجيش الأول يطلب الثأر بقتلى بدر، ويود، في هذه المعركة أن يحط راية الإسلام، فلا يرتفع لها بند بعد اليوم...

والجيش الثاني يحارب، لينحرَ همجيّة الشرك المتغطرس... وإنه لعلّى موعد صدق، مع إحدى الحسينيين: إما شهادة تحمله على أجنحتها النواعم إلى جنات تجري من تحتها الأنهار، وإما نصر يقمع الشرك، واستدلال الجماهير الكادحة؛...

ولقد كانت معركة أحد من حيث: العدد، والعدة غير متكافئة، كمعركة «بدر»، فالمشركون يزيدون على الثلاثة آلاف عدداً، ومعهم مئتا فارس، ومئة رام، وهم مزودون بآلة حربٍ مترفة... ومعهم النساء تُسَعَّرُ فيهم الحماية الجاهلية.

أما المسلمون فإن عددهم لا يزيد عن سبعمائة - الدارعون منهم قليل... والرماة قلة، والخييل أقل... ولكن المسلمين يتميزون بروح مؤارة بطاقات عارمة، نابعة من مبدأ الإيمان بالله الأحد... وبما جاءهم محمد رسول الله (ص) من عقائد قدوسية...

وكانت هذه الموازنة نقاط ضياء في ذهن نبي الرحمة (ص)...

وكان يعلم أن عليه أن يشعل فتيل تلك الطاقات العظمى، بتوجيهات مباركات... ترتفع بأرواح المسلمين إلى الأوج البطولي الأزهى، بحيث لا يشعرون إلا بعزة البأس، تنبجس فيهم سكباً من: الإباء، الفائر، الثائر... فإذا هو يخطب فيهم قائلاً: أيها الناس!! أوصيكم بما أوصاني الله به في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر، لمن ذكر الله الذي عليه، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين، والجهد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كرهه، قليل من يصبر عليه، إلا من عزم له على رشده. إن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، ورغبكم بالذي أمركم به، فلاني حريص على رشدكم...

إن الاختلاف والتنازع والتشيط من أمر العجز والضعف، وهو لا يحبه الله، ولا يعطي عليه النصر والظفر...

أيها الناس!!! إنه قُذِفَ في قلبي، أن من كان على حرام، فرغب عنه ابتغاء ما عند الله، غفر الله له ذنبه، ومن صَلَّى على

محمد، صَلَّى الله عليه وملائكته عَشْرًا، ومن أحسن وقع أجره على الله، في عاجل الدنيا، أو في آجل الآخرة، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة، إلا صبيًا، أو امرأة، أو مريضاً أو عبداً مملوكاً، ومن استغنى عنها، استغنى الله عنه، والله غنيٌ حميد... .

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله، إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار، إلا وقد نهيتكم عنه، وإنه قد نفث الروح الأمين في روعي أنه لن تموت نفسٌ قبل أن تستوفي رزقها، لا ينقص منه شيء، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم، وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم، فإنه لا يُقدر على ما عنده إلا بطاعته... . قد بيّن لكم الحلال والحرام، غير أن بهما شبهاً من الأمر، لم يعلمها كثير من الناس، إلا من عَصَم... . فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها، كان كالراعي إلى جنب الحمى أو شَكَّ أن يقع فيه... . وليس ملكٌ إلا وله حمى، ألا، وإن حمى الله محارمه... . والمؤمن من المؤمن، كالرأس من الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده... . والسلام عليكم»... .

ثم، نهى أن يقاتل أحد إلا بأمره... .

بدء القتال. علي بن أبي طالب يقتل حملة الألوية:

ولم يكد الرسول يفرغ من خطبته الهادئة، الرزينة، التي بدأها بالحث على الجهاد - جهاد العدو المشرك، والصبر

عليه... وختمها بوجوب حب المؤمن لأخيه؛... والتعاون معه... ورصّعها فيما بين ذلك بأنماط من الحكمة، ولَمَعَ من التشريع، ودعوة حارة إلى طاعة الله، فيما أمر به، ونهى عنه، وأن لا يطلبوا الرزق في معصية الله، فإنه لا تموت نَفْسٌ قبل أن تستوفي ما أعدّه الله لها من رزق... لم يكد يفرغ منها، حتى يبرز بين الصفيين حامل لواء «قريش» طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار، وينادي متحدّياً: من يبارز؟

فينهض إليه علي بن أبي طالب (ع) ويقول له: هل لك في مبارزتي؟
- نعم.

فالتقيا، فبدره عليّ (ع) بضربة على رأسه، فمضى السيف حتى فلق هامته، إلى أن انتهى إلى لحيته، فوقع؛... وانصرف علي (ع)...

وتظلل البهجة وجه رسول الله (ص) حين يقتل طلحة، ويكبر المسلمون عالياً... فيتلظى المشركون غيظاً؛... وبأخذ اللواء آخر من أبطال عبد الدار، ويطلب المبارزة، فيقتله علي (ع)، وطفق حملة الألوية ينزلون واحداً إثر واحد حتى قتل علي (ع) منهم سبعة^(١)... فتصدع قلوب المشركين... ثم يعاجلهم الرسول (ص) الوثبة، فيأمر المشاة بالزحف، ويأمر الزبير

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ - الجزء الثاني، صفحة (١٠١) طبع دار الفكر - بيروت ١٩٥٥، وراجع الطبري: تاريخ الرسل والملوك، القسم الأول - ٣ - ، صفحة (١٤٠٢) طبع مكتبة خياط - بيروت، وراجع، خليل هنداي: يوم أحد، ص (٣٦) طبع دار العلم للملايين - بيروت..

والمقداد أن يشدا على خيول المشركين... ويأمر الرماة أن
يتصدوا لرماة المشركين... ويزحف المشركون... وبلتفي
الجيشان...

موجأت من العنف الصّاحب تتلاقى في صدام مريع، يتحلّب
هلعاً، ودماءً، وموتاً...

المشركون يطلبون ثأراً طريّ الجراح، عميقها... وهم
مستعدون للتضحية بكل شيء ليتخلصوا من محمد ورسالته
(ص)...

والمسلمون يهتفون: الله أكبر... يريدون أن ينسجوا من
هاتين الكلمتين، نهراً، يشرف على الإنسانية، عراً، وكرامة،
ومدنية...

وتمضي الساعات؛... سيوف تجالد... ورماح تطاعن...
والجثث تتساقط مرملةً بالنجيع القاني، وجو المعركة ترفع
سخونته الأهات... والزفرات...

ويبصر الرسول (ص) المشركين يتساقون فرّاقاً... وعيونهم
عليه... فينادي: يا علي!! اكفني شر هؤلاء...

ويرفع علي ذا الفقار، ويغوص في تلك «الفرق» الواحدة بعد
الأخرى... فيشتتها...

وعن هذه الحالة يحدثنا الطبري فيقول: «لما قتل عليّ بن
أبي طالب أصحاب الألوية... أبصر رسول الله جماعة من
مشركي قريش،... فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم،
ففرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثم أبصر

جماعة أخرى من مشركي قريش، فقال لعلي: احمل عليهم،
فحمل عليهم، وفرق جماعتهم، وقتل شية بن مالك أحد بني
عامر بن لؤي، فينزل جبريل على الرسول (ص) يقول له:

يا رسول الله!! إن هذه للمواساة...

فيقول الرسول (ص): إنه مني وأنا منه...

فيقول جبريل: وأنا منكما...

ويرتفع صوت جبريل في سماء المعركة قائلاً:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي^(١)

ويحمل النبي (ص) ومن معه على أبي سفيان، وعمر بن
العاص، ومن معهم، فيهزمونهم...

ويشد المقداد بن الأسود والزبير بن العوام على خيل
المشركين، فيهزمون خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل^(٢)..
وينكشف المشركون هاربين، وجلين، حتى جعلهم الدعر
يتخلون عن النساء، ويلدرونهن يتعثرن راكضات وراءهم...
مولولات...

ويحتل المسلمون مكانهم، ويطاردونهم مسافة قريبة... ثم

(١) راجع، الطبري. القسم الأول - ٣ - صفحة (١٤٠٢)، وراجع ابن أبي
الحديد: شرح النهج، المجلد الثالث، صفحة (٥٦١) طبع دار الفكر -
بيروت، وراجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ - الجزء الثاني، صفحة (١٠١)
طبع دار الفكر - بيروت. وفي ذلك قال حسان بن ثابت شاعر الرسول:

جبريل نادى معلناً والنقع ليس بمنجلي
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

(٢) أبو الفرج الأصبهاني، القسم الأول، المجلد الرابع عشر، ص (٣٢).

تضطرب موازين المعركة... .

كيف حدث ذلك؟؟

لِنُضِغِ إِلَى ابن أبي الحديد يقص علينا نبأ ما حدث ولَمَّا
انهزم المشركون، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث
شاؤوا حتى أجلوهم عن المعسكر، ووقعوا ينتهبونه، قال بعض
الرماة لبعض: لِمَ تقيمون هنا في غير شيء؟؟
قد هزم الله العدو، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون معسكرهم،
فادخلوا عسكر المشركين، فاغنموا مع إخوانكم.

فقال بعضهم: ألم تعلموا أن رسول الله قال لكم: احموا
ظهورنا، وإن غنمنا فلا تتركوا أمكتكم...؟؟

فقال الآخرون: لم يُرَدِّ رسول الله هذا، وقد أذل الله
المشركين، وهزمهم، فادخلوا العسكر، وانتهبوا مع
إخوانكم... .

فلما اختلفوا خطبهم أميرهم عبد الله بن جبير، فحمد الله،
وأثنى عليه، وأمرهم بطاعة رسوله، وأن لا يخالفوا أمره... .
فعصوه... وانطلقوا، ولم يَبْقَ منهم إلا نفر قليل، ما يبلغون
العشرة، منهم: الحارث بن أنس بن رافع الذي ناداهم قائلاً:
يا قوم!! اذكروا عهد نبيكم إليكم، وأطيعوا أميركم، فأبوا،
وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون، وغلّوا الجبل^(١).

* * *

(١) ابن أبي الحديد: شرح النهج، المجلد الثالث، صفحة (٥٥٥) طبع دار
الفكر في بيروت.

كان خالد بن الوليد قد انكشف بعيداً عن ساح المعركة،
يتلمظ مرارة الهزيمة

أفي كرة خاطفة يهزمه المقداد بن الأسود والزبير؟؟
إن قلبه ليوشك أن يتفطر ألماً، ومهانة...
وكانت عيناه على المتاع الذي ينتهب طوراً،... وطوراً على
النساء الصارخات، الباكيات،... وحيناً على الرجال الفارين
مبهورين...

وينظر إلى جبل «عينين» حيث الرماة يحمون ظهور المسلمين
من حركة التفاف دائرية... فيراه خالياً إلا من عصاة لا يصل
أفرادها العشرة عدداً... فيلمع الغدر في سريره... وينادي
عكرمة بن أبي جهل، ويجمعون فرسانهم المبعثرين، ويدورون
من وراء الجبل، فيفجؤون الرماة الأمنين...

ويصمد هؤلاء لرعب المفاجأة، ويسلطون عليهم نبالهم،
فيرمونهم حتى تفنى، ويشهرون رماحهم ولا ينفكون عن
مطاعتهم حتى تتقصف.. ثم يجردون السيوف يواثبونهم بها
حتى يُقتلوا جميعاً^(١).

ثم ينقض خالد بالخيـل على المسلمين من خلفهم..
ويرى المشركون ذلك، فيتنادون... ويعودون إلى ميدان
المعركة... فيصبح المسلمون بين أنياب الثعبان..
متنا فارس جاؤوهم من خلفهم... وثلاثة آلاف محارب
يعودون شراساً لمواجهتهم...

(١) ما عدا اثنين كما يقول بعض المؤرخين...

وينذهل المسلمون من الصدمة القاسية المباغتة...
حتّى أن الذهول جعلهم - بعدما خالطهم المشركون - يضرب بعضهم بعضاً...

كانوا منتشرين في أرجاء معسكر المشركين، فرادى، وزمراً...

لقد اطمأنوا إلى غار النصر يعصب منهم الجباه...
ويغشاهم المشركون، وهم على تلك الحالة من الاطمئنان، والرضى، والهناة النفسية...

فيدهشون... تربكهم الحيرة... كيف تمّ هذا؟
ولكن، سرعان، ما ينداح الدهول... وتنقشع الحيرة...
سرعان ما يدركون حينما هوجموا من الخلف، أن الرماة قد خالفوا رسول الله (ص)، وتركوا الجبل الذي أثبتهم فيه...

ويرفع المسلمون شعار: أمت، يتعارفون به...
وتبدأ المعركة من جديد نضالاً، عاتياً، فائراً بالعرق...
والدماء...

وتأخذ البطولات الإسلامية تشمخ ملء ساح المعركة...
ويمسك الرسول (ص) بزمام القيادة...
يتناول سيفاً بيده ويقول: من يأخذ هذا السيف بحقه؟
فيعرض الزبير ويقول: أنا يا رسول الله!!، فيمسكه عنه.
ويقوم أبو دجانة سماك بن خرشة، أخو بني ساعدة فيقول:
أنا، ولكن، ما حقّه يا رسول الله!!

- أن تضرب به العدو حتى ينحني...

فيأخذه أبو دجانة، ويلف رأسه بعصابة حمراء، كانوا يسمونها

عصاة الموت، وينصب على المشركين، ضرباً جزلاً حتى يُعطى السيف حقه...

يقول عمر بن الخطاب: لقد اتبعته، فرأيتَه يضرب به العدو، حتى يرده كأنه منجل^(١)...

ويوجه الرسول (ص) علي بن أبي طالب (ع)، وسهل بن حنيف، وغيرهما... إلى كتائب المشركين، فيمزقون تماسكها تمزيقاً...

ويينجأ كان أبطال المسلمين، يطلعون على المشركين حساماً باتراً... وسناناً يعرف بالنجيع...

بينما كان سبعمائة يصارعون في حلبة الموت ثلاثة آلاف... فيهوي منهم البطل بعد البطل كواكب شهادة...

كان ثلاثة من فرسان المشركين الأشداء يبحثون عن الرسول (ص) ليقتلوه هم: عتبة بن أبي وقاص (أخو سعد)، وعبد الله بن شهاب الزهري، وابن قميثة..

وفي ساعة كان يحاول فيها كماء الإسلام إطفاء هجوم المشركين، يتسلل هؤلاء الثلاثة إلى الرسول (ص)، فيستقبلهم مصعب بن عمير، حامل اللواء بسيفه، فيقتلونه...

ولا يجرؤون على الدنو من رسول الله (ص)، بل يرمونه بالحجارة من بعيد، فتتكسر رباعيته، وتجرح شفتاه، وتشج

(١) يقول مسلم في صحيحه: حين قال رسول الله ﷺ للمرة الثانية من يأخذ هذا السيف بحقه قال سماك بن خرشة أبو دجانة: 'أنا أخذه بحقه، فأخذه، ففلق به هام المشركين، صحيح مسلم - الجزء السابع، ص (١٥١) طبع مصر.

جبهته، ويسعون هاربين... .

ويعود أبو دجانة من صولة له على قريش، فيرى رماة المشركين يصوبون سهامهم إلى رسول الله (ص)، فينحني بجسده عليه يتلقى هبات السهام، ويجثم نفر من المسلمين بين يدي رسول الله (ص)، فيأخذون قسيهم، يرمون بسهامهم المشركين... . وكان أتقنهم قذفاً المقداد بن الأسود الكندي^(١).

ويعود علي بن أبي طالب (ع) إلى الرسول (ص)، في تلك اللحظات العاتات من سعي المعركة، فيسلمه اللواء، ويرى ما حدث لرسول الله (ص)، فيستطير غضباً، وينحط على الأرتال المتجمعة لتال من نبي الهدى والرحمة (ص)، فيشلها بذي الفقار شلاً وفي ذلك يقول: « لقد رأيتني يومئذ، وأني لأذبه في ناحية، وأن أبا دجانة لفي ناحية ثانية يذب طائفة منهم، حتى فرج الله ذلك كله ».

« ولقد رأيتني انفردت منهم يومئذ فرقة خشنة، فيها عكرمة بن أبي جهل، فدخلت وسطهم بالسيف فضربت به، واشتملوا عليّ، حتى أفضيت إلى آخرهم، ثم كررت فيهم الثانية، حتى رجعت من حيث جئت ولكن الأجل استأخر، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً »^(٢).

ومع صدق هذه الهجمات وعنفها، تظل حرارة المعركة تتصاعد حول رسول الله (ص)، ويثبت في الدفاع عنه ثلاثة:

- (١) وكان من الرماة الأكفاء أبو طلحة، وسعد بن أبي وقاص.
- (٢) راجع، ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج، المجلد الثالث، صفحة (٥٦٣) طبع دار الفكر - بيروت.

علي بن أبي طالب، وأبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، ويمنع هو عن نفسه، فيرشق بالسهم تارة، ويضرب بالسيف، ويرمي بالحربة تارة، فيجرح، ويقتل^(١).

وعندما يأخذ جمر المعركة يهمد شيئاً، فشيئاً حول رسول الله (ص)، ليتوهج في مواطن أخرى من الميدان، يرتفع صوت جهوري يقول: قتل محمد. قتل محمد.

وتنطلق هذه الصرخة بين المسلمين زلزالاً يرج القلوب رجاً أما المشركون فإنهم يحسون برد الجدل يسبح في ضمائرهم...

ها هم قتلوا محمداً، وعطلوا أحكام عقائده، ومبادئه...
وها هي مقاعد العز، والسيطرة... تفتح لهم أحضانها الوثيرة، الحالية...

وتفتر عزائمهم عن الضراب... لقد تعبوا، وملوا جلال هؤلاء المسلمين الأشداء...

ولكن، أصبح أن محمداً قد قتل؟؟
ما يزال الشك عندهم ينازع اليقين...

وكما يسري الشك بين المشركين، يسري بين المسلمين البعيدين عن الرسول (ص)...
غير أن فئة منهم يُصدقون، فيتركون الحرب، ويصعدون في الجبل.

يقول عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب

(١) المصدر السابق، صفحة (٥٩٠).

(ع): «وشهد الرسول (ص) الاضطراب والرعب يجرفان صفوف أصحابه، كأنهما سَيْلٌ حتى انفرجوا عنه حتى عُمر غاب عن عينيه... وحتى أبو بكر أيضاً، وكانا دوماً أقرب إليه من أردان ثوبه» (الجزء الأول صفحة ٨٤).

ويقول ابن هشام: «ويتهي أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم... فقال: ما يجلسكم؟»

- قُتِلَ رسول الله^(١)...

- فماذا تصنعون بالحياة بعده، فموتوا على ما مات عليه رسول الله؟؟؟

ثم استقبل المشركين، فقاتل حتى قتل^(٢)...

(١) أما ابن الأثير، فيروي الحادثة على الوجه التالي، إذ يقول. «إن أنس بن النضر سمع نقرأ من المسلمين يقولون لما سمعوا أن النبي قتل. ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبي بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سميان، قل أن يقتلونا، فقال لهم أنس: يا قوم! إذا كان محمد قد قتل فإن رث محمد لم يُقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد. اللهم إني أعترز إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم قاتل حتى قتل. ويستمر قاتلاً وانتهت الهزيمة بجماعة من المسلمين، فيهم عثمان بن عفان وغيره إلى «الأعواس» فأقاموا ثلاثاً، ثم أتوا النبي فقال لهم حين رآهم. لقد دهتم بها عريضة»، راجع، ابن الأثير. الكامل في التاريخ الجزء الثاني، صفحة ١٠٢ و١٠٣ ط. دار الفكر - بيروت.

(٢) ابن هشام: السيرة، المجلد الثالث، ص (٨٨) ط. ثالثة - بيروت ١٩٧١، وراجع ابن أبي الحديد: شرح النهج، المجلد الثالث ص (٥٧٤) ط. بيروت.

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي: ويرى نفر الثلاثة الذين يحامون عن الرسول (ص) المشركين يتفرقون عنهم، فيمضون مع الرسول (ص) صُعُداً إلى الجبل^(١).

ويرفع أبو دجانة عصاة الموت الحمراء، يلوح بها للمسلمين ليعودوا إليه، فيعودون، وعندما يشاهدون الرسول (ص) تنضر جباههم برونق السعادة...

ويلتفون حوله التفاف الكأس بتويج الزهرة... وتمضي هنيئة من الوقت، تنسيهم فيها البهجة بسلامة الرسول (ص) آلامهم الجسدية، والنفسية... ثم يأخذون بالحديث عن المعركة الضارية... فإذا مسعود الأنصاري يذكر من قتل من قومه...

ويشرح كل منهم يسأل: عن نسيب له، أو صديق... وتطول هذه الأحاديث دقيقة بعد دقيقة... ثم يَقْرُ في مسامعهم حركة صادرة من أعلى... فيمضون بأبصارهم إلى مصدر الحركة، فإذا كتائب من المشركين، قد ملكت عليهم رقبة الجبل... فيضطربون...

ويقف الرسول (ص) يحضهم على الثبات والقتال... ولكن الرعب يهدد قلوب بعضهم، وإذا الهرب يتخطفهم، ويعدو بهم بعيداً، بعيداً... وعن هذا المشهد يحدثنا رافع بن خديج فيقول: «إني يومئذ إلى جنب أبي مسعود الأنصاري، وهو يذكر من قتل من قومه، ويسأل عنهم، فيخبر برجال منهم: سعد بن الربيع، وخارجة بن زهير، وهو يسترجع، ويترحم عليهم، وبعض المسلمين يسأل بعضاً عن حميمه، وذو رحمه، وهم

(١) المصدر السابق.

يخبر بعضهم بعضاً، فبينما هم كذلك، إذا عدوهم فوقهم قد علوا... وندبنا رسول الله، وحضنا على القتال، والله لكأني أنظر إلى فلان وفلان في عرض الجبل يعدوان هاربين»^(١)

ويدعو الرسول (ص) ربه فيقول: اللهم!! ليس لهم أن يعلونا. اللهم أن تقتل هذه العصاة لا تعبد... .

ويترحلُ المشركون عن مكانهم حينما يرون المسلمين يتأهبون لموائبهم، فيذرون الجبل، ويمضون إلى مكة... .

وَيَغْشَى خبر معركة «أحد» المدينة، فتتراكض النساء إلى الماء يحملنه، ويذهبن، يسقين العطشى، ويعتنين بالجرحى... .

وكان في النساء الزهراء فاطمة بنت رسول الله (ص) التي أسرعت لهيفةً، كسيفة الفؤاد، وحين ترى أباه تنكب عليه مقبلة... . ثم ترى ما به، فتأخذ بغسل الجراح، وعليّ يصب الماء، لكن الدم لا يرقأ، فتمسك بصوفة فتحرقها، حتى تصير رماداً، ثم تلصقها بالجراح فتستمسك، وينقطع النزيف... .

ويسأل الرسول (ص)، عن وجوه الصحابة، يسأل عن سعد بن الربيع فيقول: من يأتينا بخبره؟؟؟

فيمضي محمد بن مسلمة، يبحث عنه، فيراه بين القتلى، فيقول له: إن رسول الله أرسلني إليك... .

فتنفس كما يتنفس الطير، ثم قال. وإن رسول الله لحي...؟؟؟

(١) ابن أبي الحديد: شرح النهج، المجلد الثالث، ص (٥٩٠) ط دار الفكر - بيروت.

- نعم .

فتضيء نَفْحَةً رَضيَّةً عينيهِ الذابلتين ويقول: لقد طعنْتُ اثنتي عشرة طعنة كلها أجافنتي... وأنا في الأموات. أبلغ رسول الله السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله ما جزى نبياً عن أمته. وأبلغ قومك الأنصار السلام، وقل لهم: الله، الله، وما عاهدتم عليه الله ليلة العقبة، والله لا عذر لكم عند الله، إن خلص إلى نبيكم، وفيكم عَيْنٌ تطرف ثم ينتفض لتتطفئ في الجسد جدوة الحياة...

ويعود ابن مسلمة يخبر الرسول (ص)، فيرفع يديه أمام السماء داعياً: اللهم! ألق سعد بن الربيع، وأنت عنه راضٍ^(١).

ويقوم الرسول (ص) يتلمس القتلى بنفسه، فيجد عبد الله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح، وحنظلة بن أبي عامر... و... وكلما رأى واحداً منهم ترحم عليه، ودعا له... وأخيراً يجد عمه الحمزة بن عبد المطلب ببطن الوادي، قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه، وأذناه^(٢)، فيزيده حزناً ما يرى، ويرثيه فيقول: لن أصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفاً

(١) ابن هشام: السيرة، المجلد الثالث، صفحة (١٠٠) طبع بيروت ١٩٧١ + شرح النهج: ابن أبي الحديد المعتزلي - المجلد الثالث صفحة (٥٩٦) طبع بيروت - دار الفكر.

(٢) فعل به ذلك هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، والدة معاوية، وعندما فرغت من التمثيل به أنشدت:

شفيت من حمزة نفسي بأحد حين بقرت بطنه عن الكبـد
أذهب عني ذاك ما كنت أجـد من لوعة الحزن الشديد المعتمد

أغیظ إليّ من هذا... ثم یصمت قليلاً ویقول: جاءني الآن جبریل فأخبرني: أن حمزة بن عبد المطلب مکتوبٌ في أهل السماوات السبع، حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله^(١).

ثم یرى الرسول (ص) «مخیریق» أحد أحبار اليهود قتيلاً.. ویعلم أن مخیریق هذا، جاء اليهود، فقال: يا معشر يهودا! والله إنکم لتعلمون أن محمداً نبي، وإن نصره علیکم حق... فقالوا: ویحك، اليوم يوم السبت.

فقال: لا سبت، ثم أخذ سلاحه، وقال: أنا خارج لنصرة محمد، فإن أصبت، فأموالي له، یضعها حيث أراه الله^(٢).

ویأمر الرسول بجمع القتلى من المسلمين، فإذا هم سبعون، فیصلي علیهم جماعات... جماعات... ثم يأمر بدفنهم بلا غسل... وعندما ينتهي من الصلاة والدفن یقول: أنا شهيدٌ علی هؤلاء.

فیقول أبو بكر: ألسنا إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟؟

فیجيبه الرسول (ص): بلى. ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي...

(١) رثى عبد الله بن رواحة حمزة بقصيدة مطلعها:

بكت عيني وحق لها بكاء وما يُغني البكاء أو العويلُ

(٢) فجعلها الرسول في بيت مال المسلمين، أي. جعلها ملكاً للشعب، راجع

المجلد الثالث من شرح النهج، ص (٥٦٦) + ابن هشام المجلد الثالث،

ص (٩٤). طبع بيروت.

فيكي أبو بكر ويقول: أئنا لكائون بعدك؟؟.. (١)

العودة إلى المدينة:

ويعود الرسول إلى المدينة. وهناك تتجلى محبة الشعب له بأوضاً صورها، وأقدسها، ويبدو فرحه بنجاته عارماً، غمراً... .

تتلقى طليعة العائدين امرأة من بني دينار، فينعون إليها: زوجها، وأخاها، وأباها، فتقول لهم: فما فعل برسول الله؟؟

- هو بخير كما تحبين.

- أرونيه حتى أنظر إليه، وحين تراه يتهلل وجهها وتقول: كل مصيبة بعدك جَلَلٌ (٢) يا رسول الله!!

وتقول والدة سعد بن معاذ سيد الأوس حين تبصره: إذ رأيتك سالماً فقد أشفت المصيبة..

بهذه العواطف الفياضة بالإجلال يستقبله الشعب في المدينة.

(١) راجع، الموطأ: الإمام مالك - يحيى بن الليث، طبعة ثانية، دار النفائس، صفحة (٣٠٧) ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م. إعداد أحمد راتب عرموش وراجع، صحيح البخاري، الجزء الرابع صفحة (٩٦ و ٢٠٤) مطابع الشعب ١٣٧٨هـ، حيث ترى البخاري يروي عن رسول الله قوله: يؤخذ برجال من أصحابي ذات الشمال، فأقول: أصحابي، أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم... وراجع، ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج - المجلد الثالث، صفحة (٥٩٥) طبع دار الفكر - بيروت ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م.

(٢) جلال: هينة، سيرة، وراجع، الطبري: القسم الأول - ٣ - صفحة (١٤٢٦) مكتبة خياط - بيروت.

وراجع، شرح النهج: ابن أبي الحديد، صفحة (٥٩٥) طبع بيروت.

لقد هَوَّنَ على الجميع إيمانهم بالصادق بالله ورسوله (ص)
كل مصيبة... .

ويصل الرسول (ص) إلى داره، فيناول سيفه ابنته فاطمة
قائلاً: اغسلي عن هذا دمه يا بنية!!

ويناولها عليُّ سيفه ويقول: وهذا فاغسلي، فوالله لقد صدقني
اليوم

فيقول له رسول الله (ص): لئن كنت صدقت القتال، فلقد
صدق معك سهل بن حنيف، وأبو دجانة سماك بن خرشة.

ويقول الطبري: إن عليُّ بن أبي طالب، حين أعطى فاطمة
سيفه قال:

أفاطم!! هاك السيف غير ذميم فليست برعديد ولا بعليم
لعمري، لقد قاتلتُ في حب أحمدٍ وطاعة رب بالعباد رحيم
وسيفي بكفي، كالشهاب أهزه أجدُّ به من عاتقي وصميم
فمازلتُ، حتى فُضُّ ربي جموعهم وحتى شفينائفس كل حلیم^(١)

المعركة التاريخية

وينطوي يوم أحد، بكربه، وجحيمه، ودمه، ليضع العرب
في نقطة الانطلاق من أغلال الوثنية المعادية لروح الإنسانية...

لقد كان يوما «بدر وأحد» أغاني من ألوان النار، رفعت
البشرية إلى آفاق صافية الأديم من التطور المدني الذي يرتكز
على أعمدة ثلاثة هي: المحبة، والحرية، والإخاء...

(١) الطبري: القسم الأول - ٣ صفحة (١٤٢٦) مكتبة خياط - بيروت.

ويتناول تاريخ الجهاد الأصيل باعتزاز ليظهر المقداد بن الأسود علماً بين أعلام المجاهدين في وقعة أحد، فهو، قد صدم مع الزبير، في بدء المعركة، فرسان المشركين الذين يقودهم خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وما ينفكان يدفعان بهما دفعاً دراكاً حتى أرغموهم على الاحتماء بعار الهزيمة.

ولما حَمِيَ الوطيس حول رسول الله (ص)، جثا أمامه، وأخذ قوسه، وما زال يرمي المشركين الذين يهاجمون الرسول (ص) مع سعدو وغيره حتى أجلوهم عنه...

ويتحدث أبناء مدينة الرسول (ص) عن معركة أحد، فيذكرون «استراتيجية» الرسول (ص) الفلة، وتحطيم قوى المشركين منذ الجولة الأولى، ويتذكرون بألم، مخالفة الرماة للرسول (ص)... ويقصون على بعضهم بِجَلْبِ حيناً، وهمساً حيناً آخر أنباء بطولات الذين قضوا شهداء في حرّ المعركة.... والذين ما برحوا أحياء، ويعدون قتلى المشركين واحداً، واحداً، فإذا هم ثمانية وعشرون من عيون أبطالهم، ويعدون من قتل علي بن أبي طالب (ع) وحده، فإذا هم اثنا عشر من خيرة رجالهم^(١)...

وبين الحين، والحين، يُصغون إلى صوت مُنْذِي بعذوبة ألوان طاقات الزهور، يتلو عليهم (خبر السماء) عن شهداء أحد، يرتله ترتيلاً: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج، المجلد الثالث، ص (٦٠٣) طبع دار الفكر - بيروت.

أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون^(١).

الرسول يزوج المقداد بن الأسود:

أورد صاحب الإصابة عن ثابت البناني قال: كان المقداد وعبد الرحمن بن عوف جالسين، فقال له: مالك لا تتزوج؟؟ - زوجني ابتك؛ فغضب عبد الرحمن، وأغلظ له القول، فشكا ذلك إلى النبي؛ فقال: أنا أزوجك، فزوجه بنت عمه ضباعة^(٢). أما الشيخ الطوسي فيقول في المجلد الثاني من أماليه ص / ٨٤ / : إنها فاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، ثم يقول: وقيل: هي ضباعة.

أولاد المقداد:

يقول صاحب الطبقات: إن رسول الله زوج المقداد بن الأسود الكندي ابنة عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم،... وأُمُّها عاتكة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فولدت ضباعة للمقداد: عبد الله، وكريمة (وفي رواية تهذيب التهذيب) وضباعة. وقتل عبد الله يوم الجمل، فمر به علي بن أبي طالب (ع)، فقال: بش ابن الأخت أنت، وكان مع عائشة^(٣).

(١) سورة آل عمران (١٦٩ و ١٧٠).

(٢) ابن حجر العسقلاني: الإصابة - الجزء الثالث، ص (٤٥٤) ط (بالأونست) مكتبة المثنى - بغداد.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، المجلد الثامن، صفحة (٤٦)، طبع دار صادر - بيروت أما محسن الأمين فيقول: إن المقتول هو «معبد بن المقداد»، انظر كتابه «حرب الجمل» ص (٥٦).

غزوة ذي قرد^(١)

الرسول (ص) يسلم اللواء للمقداد:

في ربيع الأول العام السادس للهجرة (حزيران ٦٢٧م) أغار عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر الفزاري، ومعه أربعون فارساً من قبيلة غطفان على عشرين لقحة^(٢) لرسول الله، يرعاها رجل من قبيلة غفار، ومعه امرأته، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة معهم...

ويرى سلمة بن الأكوع الأسلمي ذلك، وكان قريباً من مكان الحادثة، فبيعت إلى الرسول من يخبره، ويلحق هو بالقوم ينهكهم بنباله التي لا تكاد تخطيء أهدافها... ويحيى الصريخ المدينة منادياً: الفزع، الفزع... ويقول: إن المشركين أغاروا على سرح الرسول فاستاقوه... فيدعو الرسول (ص) المقداد بن الأسود، فيعقد له اللواء، ثم يقول: يا خيل الله اركبي^(٣)، ويقول له: امضي بمن معك، وأنا على أثرك.

ويمضي المقداد لما أمره رسول الله (ص)، ويلتحم مع المشركين في معركة تنفرج رحاها عن قتل رؤوس المهاجمين، وهزيمتهم، وإنقاذ اللقاح، وبينما المقداد يأخذ لملاحقة المشركين الفارين أهبطه، يصل رسول الله (ص) على رأس

-
- (١) ذو قرد ماء على نحو اثني عشر ميلاً من المدينة، ويقول البخاري في الجزء الخامس ص (١٦٥ و ١٦٦) إنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، أما أبو الفداء فيقول في الجزء الثاني، ص (٤٠) إنها كانت بعد الأحزاب، وقرينة.
- (٢) اللقحة: الناقة الحلوب.
- (٣) يا خيل الله اركبي، لم يقلها أحد قبل الرسول، ولم يقلها قبل هذه الغزوة.

خمسائة من المسلمين، فينهى عن اتباعهم ويقيم «بذي قرد» يوماً وليلة، ثم يرجع قافلاً إلى المدينة^(١).

الرسول (ص) يمنح المقداد طعمة في «غزوة خيبر»^(٢):

ويحضر المقداد بن الأسود غزوة خيبر، ويولي فيها أشجع بلاء، وبعد أن يبرد أوار المعركة «يطعمه الرسول خمسة عشر وَسَقاً شعيراً»^(٣)، وكان ذلك في شهر المحرم العام السابع للهجرة (آب، ٦٢٨م).

فتح مكة

الرسول يبعث علياً والمقداد في مهمة:

وفي شهر رمضان العام الثامن للهجرة (كانون الثاني، ٦٣٠م)، تَنَقُّصُ قريش صلح «الحديبية»^(٤) المعقود بينها وبين رسول الله (ص) فقد بَيَّتُوا قبيلة خزاعة^(٥) التي كانت في حلف

(١) البلاذري: أنساب الأشراف من صفحة (٣٤٦-٣٤٨) طبع معهد المخطوطات العربية - جامعة الدول العربية - القاهرة ١٩٥٩، وراجع، ابن هشام: السيرة - المجلد الثالث، ص (٢٩٣) ط. ثالثة - بيروت. وراجع الطبري: القسم الأول - ٣ - ص (١٥٠٢) مكتبة خياطة - بيروت، ومحمد رضا: محمد رسول الله، ص (٣٣٢) ط. ثانية، مصر.

(٢) خيبر كلمة عبرية معناها: حصن أو قلعة.

(٣) ابن سعد: الطبقات، المجلد الثالث، ص (١٦٣)، ط. دار صادر - بيروت.

(٤) بئر، سُمي المكان بها وهي على بعد تسعة أميال من المدينة.

(٥) خزاعة: قبيلة عربية يمانية، كانت ممن هاجر من اليمن عند خراب سد مأرب وسكنت مكة وما جاورها.

رسول الله، ليلاً، وهم غارون آمنون، فقتلوا منهم عشرين رجلاً...

ويخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من قومه الى رسول الله (ص)، يخبره بما فعلت قريش، ويستنصره...

ويجيء أبو سفيان المدينة، وهو يطمع أن يجدد العهد...
فيأبى الرسول (ص)... وينصرف أبو سفيان إلى مكة...

ويأخذ الرسول بتجهيز المسلمين، ليغزو قريشاً بسبب غدرها، ونقضها للعهد، ويحيط إعداده للمعركة بسرية تامة، فيضع أرصاداً خارج المدينة فلا يُسمح لغريب بالدخول إليها - كما لا يسمح لأحدٍ من أبناء المدينة بالذهاب إلى مكة... وعندما يجمع على المسير يكتب «حاطب بن بلتعة» - حليف بني أسد إلى قريش يخبرهم بعزم الرسول، ويستأجر مولاة لبني عبد المطلب اسمها «سارة» ويدفع إليها عشرة دنانير، ويوصيها فيقول: «اخفيه ما استطعت، ولا تمر في الطريق فإن عليه حراساً» فجعلت الكتاب في رأسها، ثم فتلث عليها قرونها، وخرجت.

ويأتي جبريل فيخبر الرسول (ص) بما صنع «بلتعة» فيرسل في طلب «سارة» علي بن أبي طالب (ع)، والمقداد بن الأسود... فيلحقان بها...

وتنفي بإصرار أن يكون معها كتاب... وعندما يتهددونها تُخرجها من شعرها... فيأخذانه ثم يعودان وهي معهما. ويقراً الرسول (ص) الكتاب فإذا فيه «من حاطب بن بلتعة إلى: سهل

بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية... «إن رسول الله أذن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد».

ويسأل الرسول (ص) حاطباً فيقول له: يا حاطب!! ما حملك على هذا؟؟

- يا رسول الله!! أما والله، إني لمؤمن بالله ورسوله، وما غيرت ولا بدلت، ولكني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم».

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله!! دعني أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق.

فقال الرسول: وما يُدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أصحاب يوم بدر^(١) فقال: ﴿اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم...﴾

الرسول يضع المقداد على مجنبه الجيش اليمنى.
الرسول يمسح الغبار عن وجه المقداد بثوبه:

ويمضي الرسول (ص) لما أعد نفسه له، ويستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري، ويخرج لعشر خلت من شهر رمضان (أول كانون الثاني، ٦٣٠م)، ويرتب الجيش، فيثبت كلاً من القادة في المكان الذي هو به

(١) حاطب بن بلعة من الذين شهدوا «وقعة بدر».

جدير... ويدخل مكة بلا حرب (صلحاً) يقول ابن سعد في الطبقات: ويجعل الرسول المقداد بن الأسود على المجنبه اليمنى، فلما دخل مكة، وهدأ الناس جاء المقداد بفرسه فقام رسول الله (ص) يمسح الغبار بثوبه عن وجهه، ويقول: إني قد جعلت للفرس سهمين، وللفارسي سهماً، فمن نقصهما، أنقصه الله»^(١).

المقداد يشهد الغزوات كلها:

يقول ابن سعد في طبقاته: «وشهد المقداد: بدرأ، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب الرسول (ص)^(٢)».

الرَّسُولُ (ص) يؤمر المقداد بن الأسود على سرية... فيرفض الإمرة بعدها...

حدث أنسٌ فقال: بعث النبي المقداد على سرية، فلما قدم المدينة، قال له: أبا معبد! كيف وجدت الإمارة؟؟

- كنت أحمل... وأوضع... حتى رأيت أن لي على القوم فضلاً...

- هو ذاك، فخذ، أو فدع

(١) ابن سعد: الطبقات - المجلد الثالث، ص (١٠٤)، ط. دار صادر - بيروت.

(٢) المصدر السابق، ص (١٦٢). وراجع، ابن الأثير: أسد الغابة - الجزء الرابع، ص (٤١٠ و ٤١١) ط. مصر، ١٢٨٦هـ.

- والذي بعثك بالحق لا أتأمر على اثنين أبداً... فكانوا يقولون له: تقدم فصل بنا فيأبى^(١)

ذلك هو المقداد، لا يتولّى الإمارة على اثنين، لأن الإمارة وسوست له أنه: فوق الذين تأمّر عليهم... وهذا غرور، والغرور خلق دنيء، لذا أقسم للرسول (ص) أنه لا يقبل «إمارة» ما دام حياً...

المقداد يرفض ما يشوه عزة الإسلام:

أخرج أبو نعيم في «الحلية» عن الحارث بن سويد، قال: كان المقداد بن الأسود في سرية، فحصرهم... فعزم الأمير على أن لا يجسر^(٢) أحد دابته... فجسر رجل دابته لم تبلغه العزيمة، فضربه، فرجع الرجل وهو يقول: ما رأيت كما لقيت اليوم قط، فمر المقداد، فقال له: ما شأنك؟؟؟

فيذكر له الرجل قصته... فيتلهب المقداد على الأمير غضباً، ويتقلد سيفه، وينطلق معه حتى ينتهي به إلى الأمير، وما إن رآه حتى قال له: أقده^(٣) من نفسك، فأقاده، فعفا الرجل، ويرجع المقداد، وهو يقول: لأموئن والإسلام عزيز^(٤).

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة - الجزء الأول، ص (١٦٧ و ١٦٨) ط. أولى، الهند. (١٣٥٥هـ). وراجع الكاندهلوي: حياة الصحابة - المجلد الثاني، ص (٤٨)، وفيه قوله جواباً على سؤال الرسول: ما زلت حتى ظننت أن من معي خولاً لي.

(٢) جسر دابته: أخرجها لترعى.

(٣) أقده: اسمح له أن يقتص منك.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء - الجزء الأول، ص (١٧٦).

دعوات من الرسول تنمو صفاءً في نفس المقداد:

أخرج أبو نعيم في الحلية، عن المقداد بن الأسود، قال: جئت أنا وصاحبان لي، قد كادت تذهب أسماعنا، وأبصارنا من الجهد (أي جوعاً) فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله (ص)، فما يقبلنا أحد، حتى انطلق بنا رسول الله (ص) إلى رحله، ولآل محمد ثلاث أعنز يحتلبونها، فكان النبي (ص) يوزع اللبن بيننا، وكنا نرفع لرسول الله (ص) نصيبه، فبجي، فيسلم تسليماً يسمع اليقظان، ولا يوقظ النائم...

فقال لي الشيطان: لو شربت هذه الجرعة، فإن النبي يأتي الأنصار فيتحفونه... فما زال حتى شربتها، فلما شربها، نذمني وقال: ما صنعت؟ يجيء محمد، فلا يجد شرابه، فيدعو عليك فتهلك...

وأما صاحباي، فشربا شرابهما وناما، 'وأما أنا فلم يأخذني النوم، وعليّ شُمَّلَةٌ لي، إذا وضعتها على رأسي، بدت منها قدماي، وإذا وضعتها على قدمي، بد رأسي...

وجاء النبي (ص) كما كان يجيء، فصلّى ما شاء الله أن يصلي، ثم نظر إلى شرابه، فلم ير شيئاً، فرفع يده، فقلت: الآن يدعو عليّ فأهلك، وإذا هو يقول: اللهم!! أطعم من أطعمني، واسق من سقاني...

فأخذت الشفرة^(١) وانطلقت إلى الأعنز أجسهن، أيتهاً أسمن كي أذبحها لرسول، فإذا حُفِّلَ كلهن^(٢).

(١) الشفرة: السكين العريضة.

(٢) حُفِّلَ: ممتلئات الضروع لنا.

أخذتُ إناء لآل محمد (ص) كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه،
فحلبت حتى علت الرغبة، ثم أتيت رسول الله (ص)، فشرب،
ثم ناولني فشربت، ثم ناولته فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم
ضحكت حتى ألقيت على الأرض، فقال لي: ماذا يا
مقداد؟^(١)

فأنشأت أحدثه بما صنعت، فقال: ما كان إلا رحمةً من الله،
لو كنت أيقظت صاحبك فثلاً منها.
قلت: والذي بعثك بالحق، ما أبالي إذا أصبتها أنت،
وأصبت فضلتك من أخطأت من الناس^(٢)

المقداد لا يقتل . . . طمعاً بالمال:

زعم بعض كتاب السيرة أن المقداد خرج في سرية أبي قتادة
عام (٨هـ = ٦٢٩م) فقتل رجلاً طمعاً بماله، بعدما نطق
بالشهادتين^(٣) . . .

إننا نرى هذا الزعم باطلاً محضاً للأسباب التالية:

١ - لقد أسر المقداد النضر بن الحارث الذي كان يساوي سلبه
مبلغاً ضخماً من المال، ولم يقتله طمعاً في سلبه الثمين، بل
ساقه هديةً إلى رسول الله (ص) يفعل فيه ما يشاء.

٢ - لما أمر الرسول (ص) علي بن أبي طالب (ع) أن يقتل

(١) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء - الجزء الأول، ص (١٣٧). وراجع، ابن
كثير: البداية والنهاية - الجزء الرابع، ص (٦٦٦) طبع القاهرة ١٩٦٦،
(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد - الجزء السابع، ص (٨) ط. القاهرة ١٣٥٣.

النضر أَمَرُ عَدُوَّ الله ورسوله (ص) قال المقداد: أسيري يا رسول الله (ص)!! فقال الرسول (ص): اللهم اغنِ المقداد من فضلك، وقد أغناه الله بعد ذلك.

٣- إن رجلاً يشهد له رسول الله (ص) أن الجنة تشتاق إليه^(١)، لا يقدم على قتل رجل ينطق بالشهادتين ليستولي على ماله..

٤- قال رسول الله (ص): لكل نبي نجباء، وإن لي أربعة عشر نجيباً عَدَّ منهم المقداد - إن هذه النجابة لتمسكه عن الإقدام على عملٍ لا يرضي الله...

٥- لقد اتفق المؤرخون جميعاً على تسمية المقداد، فارس رسول الله (ص)، وما كان لفارس رسول الله (ص) أن يقتل مسلماً عامداً، وهو يقرأ صباح، مساء قول الله: ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم...

هذه الأسباب مجتمعة، ومنفردة، ترد نسبة حادثة القتل هذه إلى المقداد ردّاً قاطعاً، حاسماً..

ويروي الطبري أنّ هذه الحادثة نسبت إلى رجلين آخرين من المسلمين هما: محمل بن جثامة = يزيد بن قيس، وغالب الليثي...

إذن، فكيف يُجيز مؤرخ لنفسه أن يلصقها بالمقداد، وهو من عرفناه نبلاً في دين، وصفاءً في يقين، وترفعاً عن اللمم، فكيف بالمويقات؟؟

(١) قال رسول الله (ص): أربعة تشتاق إليهم الجنة، علي، وسلمان، والمقداد، وأبو ذر.

يقول الطبري: إن محمداً بن جثامة، توفي في حياة النبي، فدفنوه، فلفظته الأرض، مرة بعد أخرى، فأمر به، فألقي بين جبلين، وجعل عليه حجارة. وقال الرسول (ص): إن الأرض لتقبل من هو شر منه، ولئن الله أراد أن يريكم آية في قتل المؤمن^(١).

يشير الرسول (ص) بذلك إلى قتل محمداً بن جثامة الرجل بعدما نطق بالشهادتين ليأخذ أمواله..

ومرة أخرى نتساءل: كيف يبيع مؤرخ لنفسه، بعد هذا...، أن ينسب الحادثة إلى المقداد بن الأسود الكندي؟؟

المقداد يروي عن الرسول (ص):

يقول صاحب الأعلام: إن للمقداد (٤٨) حديثاً^(٣).
ولكن أليس غريباً أن يقف حفظ المقداد لأحاديث الرسول (ص) عند هذه القلة القليلة؟؟

لقد كان المقداد سابع رجل يُقدَّس نفسه نور الإسلام...
وقد أحبه الرسول (ص) وأدناه حتى اصطفاه له نجيباً...
ثم وصله بنسبه الشريف فزوجه من ابنة عمه الزبير بن عبد المطلب... وامتدت حياته مع الرسول أعواماً طوالاً...

وروى عنه الحديث عشرة، عدا زوجته وابنته...
ذلك كله يجعلنا نقطع أن المقداد روى عن الرسول (ص) أضعاف ما ذكر له...

(١) محمد رضا: محمد رسول الله، ص (٤١٢) ط. مصر ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م.
(٢) خير الدين الزركلي: الأعلام - الجزء الثامن، مادة المقداد.

إذن، فلماذا لم يُدون له إلا ثمانية وأربعون حديثاً؟؟ ..
حقاً إنه لأمرٌ يدعو إلى العجب، والاستغراب. . .

أسماء الذين رَووا عن المقداد:

يقول صاحب «تهذيب التهذيب»: روى المقداد عن النسي (ص)، وروى عنه علي بن أبي طالب (ع)، وأنس بن مالك، وعبيد الله بن عدي بن الخيار وهمام بن الحارث، وسليمان بن يسار، وسليم بن عامر، وأبو معمر عبد الله بن سخبرة الأزدي، وعبد الرحمن بن أبي ليلي، وجبير بن نفير، وعمر بن إسحق، وزوجته ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، وابنته كريمة بنت المقداد، وابنته ضباعة^(١). . .

المقداد المضيايف:

يقول ابن الأثير في الكامل: في السنة التاسعة للهجرة، قدم وفد «بهراء» على رسول الله (ص)، فنزلوا على المقداد بن الأسود الكندي^(٢)

ويقول الطبري: إن عدد أفراد الوفد كان ثلاثة عشر رجلاً^(٣).

(١) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب - الجزء العاشر، ص (٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧) طبعة أولى في الهند. (١٣٢٧هـ).

(٢) ابن الأثير. الكامل، المجلد الثاني، ص (٢٩٠) ط. بيروت ١٩٦٥

(٣) تاريخ الطبري: القسم الأول. (٤) - صفحته (١٧٢٠) مكتبة خياطة - بيروت.

الفصل الثالث

المقدّاد بعد إنتقال الرّسول (ص) الى الملائكة الأعلى

وفي خلوة ساكنة الجوانح يناجي المقداد نفسه التي سحقها
الأسى فيقول: أهكذا تأفل شمس الهدى التي كانت تملأ
وجودنا نوراً...؟؟
أهكذا، وفي مثل لمح البصر يفيض ينبوع الرحمة،
والمحبة، والخلق العظيم؟؟
ويح لنا!! كيف يغيب عنا رسول الله؟؟ وكيف نحيا بعده؟؟
ويكي فارس رسول الله (ص)، ويكي، حتى إذا روت دموعه
منابت الألم في نفسه، أخذ يفكر في خليفة رسول الله
(ص)...

المقداد يوالي علي بن أبي طالب (ع):
كان المقداد يحب علي بن أبي طالب حباً نقيّاً استقاه من
كوثر الإسلام...
فهو يعلم جهاد علي في: بدر، وأحد، والخندق، وخيبر،
وحنين...
وهو يعرف تقواه، وزهده، وعلمه، - هذه الصفات
الشامخات التي برز بها كل الصحابة...

وهو لا يرى في ذلك غرابة، فعليُّ قد شبَّ ونترعرع في بيت رسول الله (ص)، وخصَّه الرسول (ص) بالإخاء بينه وبين نفسه، وزوّجه الزهراء ابنته بأمر من الله رب العالمين... وهو يعلم أنَّ ما قاله الرسول (ص) فيه من أحداث ترفعه إلى الرفرف الأخضر الذي يفترشه رسول الله (ص).

وهو يعلم أن الرسول (ص) بدأ إعلان دعوته الإلهية بالببغة لعلي (١) وختما ببيعته.

بالأمس الغض قال: من كنت مولاه فعليُّ مولاه.

ولأنه ليرى هذه الكلمات تأخذ بعضد علي (ع) فترفعه إلى مقعد رسول الله (ص)، وهي ما تزال وحيًا ربانيًا طريًا يسأل المسلمين الوفاء بالعهد لابن أبي طالب (ع)...

وإن دعاءه لعلي (ع) المنبث من قدس أقداس النبوة: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وادر الحق معه حيث دار...

هذا الدعاء الحار ما يبرح يَمْضُ في عقول المسلمين قبسات من جوهر الروح المحمدي (٢).

(١) حين أمر الله رسوله بقوله: ﴿وأنذر عشيرتكَ الأقربين﴾، دعا بني هاشم وبني المطلب وندبهم لنصرته، فأبوا جميعاً، وقام علي فقال: أنا أوأزرك يا رسول الله، فأخذ برقبة علي وقال: هذا أخي وصي وخليفي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا (راجع صفحة (٣٨) من كتابنا هذا).

(٢) تقول المخطوط المقرئ في المجلد الثاني صفحة (٢٢٠) ط. بيروت. وأصلهم فيه (أي الشيعة في عيد الغدير) ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده الكبير من حديث الرء بن عازب قال: كنا مع رسول الله في سفر لنا، فزلنا «بغدير خم» ونودى الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله تحت شحرتي فصلى الظهر، وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟؟ قالوا: بلى قال: أستم تعلمون أي أولى بكل -

ولكم قال رسول الله (ص): عليّ ميسى، وأنا من علي^(١).

وهو يتذكر أن جابر بن عبد الله سأل الرسول (ص) عن مبلاد عليّ فقال: سألتني عن خير مولود، ولد في شبه المسيح، وأن الله نبارك وتعالى خلق عليّاً من نوري، وخلقني من نوره، وكلانا نور واحد^(٢).

مؤمن من نفسه ٢٢ قالوا بلى فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: فليبه عمر بن الخطاب فقال: هيّا لك يا بن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، وراجع الاسعاف. ابن عبد البر - الحرّ الثالث، ص (١٦)، بهامش الإصانة طعة حديدة (بالأوفست) بعداد، وراجع العقد الفريد. ابن عبد ربه - الحرّ الخامس، ص (٥٨) وراجع الشلحي الشافعي - نور الأبصار، ص (٧١) المطبعة السعدية بجوار الأزهر الشريف، وراجع، الشيخ محمد الصادق: إسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار، صفحة (١٥١) حيث نراه بقول. رواه عن النبي ثلاثون صحابياً، وقد أورد الحديث على الصيغة التالية. من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحسّ من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصبر من نصّره، واحمل من حمله، وأدر الحق معه حيث داره وراجع المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٣٥. وراجع الشيخ الأمسي. الغدير، المجلد الأول، حيث أورد المؤلف أسماء رواة الحديث من الصحابة مربية حسب حروف الهجاء، وقد بلغ عددهم (١١٠) وذكر أسماء رواة الغدير من التابعين فبلغ عددهم (٨٤) ثم ذكر طبقات الرواة للحديث من العلماء حسب الوفيات فإذا عددهم (٣٦٠)، وذكر أسماء المؤلفين في الغدير فبلغ عددهم (٢٦)، كما ذكر أسماء الذين (نوسدوا بالغدير) من الصحابة، فسهدوا به، كل ذلك مفصلاً من صفحه (١٤-٢١٣)، ط دار الكتاب العربي - بيروت، من مستورات الحاج. حسن إيراني

(٢) راجع صحيح البخاري، المجلد الثاني - الحرّ الخامس، ص (٢٢) مطابع الشعب، ١٣٧٨هـ

(٣) العلامة الكنجي النساقي كفاية الطالب، ص (٢٦٠-٢٦١)، وراجع للإمام أحمد بن حنبل - كتاب الفضائل والصفات، ص (٢٠٥) حيث نراه =

من أجل هذا، كان المقداد يحب علياً، ومن أجل هذا كان لا يشك في أنه سيلي الخلافة بعد ابن عمه رسول الله (ص).

وإنه ليحس راحة صافية تشب ابتهاجاً في دنيا ذاته. إذ يتولى علي بن أبي طالب (ع) الأمر بعد رسول الله (ص)

ولكن

ويصمت . . .

ولكن ماذا؟؟؟

لقد رأيت عَجَباً، رأيت الرسول (ص) يصبر على بعث أسامة، ولكن الصُّحابة يُعَوِّقون «البعث» عن السفر تحت ستار: إن رسول الله (ص) مريض . . .

هو يُلح عليهم بالمسير، وهم يرفضون^(١) . . .

- يروي عن: سلمان الفارسي، عن رسول الله (ص) أنه قال: سمعتُ حبيبي رسول الله يقول: كنتُ أنا وعلي نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام. ونقله عن الإمام أحمد بن حنبل: سبط ابن الحوزي الحنفي، في «تذكرة الخواص»، ص (٥٢) وأخرج ابن المغازلي عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي ذر، قال: سمعت رسول الله يقول: كنت أنا وعلي نوراً عن يمين العرش، بين يدي الله عز وجل، يسبح الله ذلك النور ويقده، قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلم ير أنا وعلي شيئاً واحداً، حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزء أنا، وجزء علي. وراجع كتاب «قبس من القرآن للخطيب البغدادي» من صفحة (٣١٢-٣٣٧) ط. ١٣٨٩هـ. ففيه بحث ضاف في هذا الموضوع؛ وراجع الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ينابيع المودة، طبعة ثامنة، ص (١١٤)، حيث ترى الرسول يقول: إني وأهل بيتي، كنا نوراً يسعى بين يدي الله، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف سنة الخ

(١)- ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج - المجلد الثاني، ص (٣١)، حث

ورأيْتُ الرسول (ص) يقول: آتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، فيرفضون أيضاً، ويقولون: رسول الله غلبه الوجع... ورسول الله يهجر^(١)..

وينهض المقداد بعصية ثم يقول: كان ذلك معصية لرسول الله، وجراً على مقام النبوة الأسمى...

- يقول: «إن رسول الله في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار، منهم: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة والزبير، وأمره أن يغير على «مؤتة» حيث قتل أبوه زيد، وبغزو وادي فلسطين، فتناقل أسامة، وتناقل الجيش بتناقله، وجعل الرسول في مرضه، يثقل، ويخف، ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتى قال له أسامة: أأذن لي أن أمكث أياماً، حتى يشفيك الله؟؟

فقال: اخرج، وسر على بركة الله، وراحه ثانياً مستأذناً بالبقاء، فقال: سر على النصر والعافية، وراحه ثالثة، فقال: أنفذ لما أمرك به. ثم سأل عن أسامة والبعث، فأخبر أنهم يتجهزون، فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة، لئن الله من تحلف عنه، وكرر ذلك»

(١) يقول صحيح البخاري: الجزء الأول، ص (٣٩)، باب كتابة العلم: لما اشتد بالناس وجعه قال: آتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إن السيف عليه الوجع، وعدنا كتاب الله، حسبنا، فاحتلفوا، وكثر اللغط، فقال: قوموا عني، ولا يبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله، وبين كتابه».

وأورد صحيح البخاري في المجلد الثاني - الجزء الرابع، صفحة (١٢١)، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، عن ابن عباس: أنه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس؟؟ ثم نكي حتى بل دمه الحصى، فقال له سعيد بن جبير (راوي الحديث) يا ابن عباس!! ما يوم الخميس؟؟ قال: اشتد برسول الله وجعه، فقال: آتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبي تنازع - فقالوا: ماله؟؟؟؟

أهجر؟؟

استفهموه..

إنما لماذا تأبوا السفر مع «جينس» أسامة؟؟؟
ولماذا حال عمر بن الخطاب بين الرسول، وبين كنهه
الكتاب الذي وصفه. بأنهم لن يضلوا بعده؟؟؟
ويمتد حوار خافت بين عقله ونفسه، شيئاً بعد شيء...
وفجأة يندفع فائلاً: لا، ليس ثمة أحد يستطيع أن يحجب
عليّاً عن مفعد رسول الله...

وتدخل عليه انتته كريمة تقول: ما بال أبي؟؟ إنك ندمو
مضطرباً، متهيجاً... فلمة؟؟

- لا شيء بابتة المفداد، افكارٌ ندور في خاطري... تتبر
القلق... أين والدتك؟؟ لقد تأخرت...
- هي ذي قادمة بُفل خطوها ساءاً من الاحزان...

وتصل ضاعه بنت الزبير بن عبد المطلب، فتهدل لها
المقداد: لقد تأخرت يا أم معد، كان ينبغي أن لا أعبك عن
جوار جثمان رسول الله هذه الهبة.

فقالت بنبرة باكية: أحل، ولكن اتعلم ماذا حدث في ساحه
غيابك؟؟

- ماذا حدث بابتة الزبير!!
- بايع عمر أبا بكر بالخلافة، وبايعه أبو عبيده، وحالد بن
الوليد، وبشير بن سعد الأوسي وغيرهم...

فقال بهياج عاصب: كيف؟؟ كيف يحدث هذا؟؟ كيف سم
وعلي بن أبي طالب موجود؟؟

- سمعوا أن بعض الأنصار محنمون في سقبته نبي ساعده،

فتركوا جثمان رسول الله، ومضوا إلى هناك...
- ثم ماذا؟؟

- في السقيفة قال عمر للمجتمعين من الأنصار، نحن شجرة الرسول، والعرب لا تطيع إلا قريشاً، وقال لسعد بن عباد الخزرجي الذي كان يبحث أمر الخلافة، أنت رئيس الخزرج، والأوس لا ترضى أن تكون لكم رئاسة تتأمرون بها عليهم، ثم أخذ بيد أبي بكر فبايعه... وقد أثار كلامه الدم القبلي في بشير بن سعيد أحد وجوه الأوس، فقام وبايع أبا بكر كيداً للخزرج...

- وعلي، وبنو هاشم؟؟
- عليّ يشغله جهاز رسول الله... والصلاة عليه... وبنو هاشم حول بيت الرسول ليكون رحيله عنهم...
- والأمويون؟؟

- لم يحضرها أموي...
- وعمار، وأبو ذر، وسلمان، والزبير... و... و... لم يحضروا، ولم يبايع أحد من الخزرج، ولقد ذكر بعض الأنصار عليّ بن أبي طالب، فكان ذلك حافزاً لعمر أن يعقد البيعة لأبي بكر بسرعة^(١).

(١) قال ابن الحديد المعتزلي في شرح النهج - المجلد الأول - الجزء الثاني، صفحة (١٥٤) طبع دار الفكر - بيروت: إن أبا بكر خطب الناس، واعتد لهم، وقال: إن بيعتي كانت فلتة وفى الله شرها، وروى ابن الحديد في الصفحة (١٤٥) من المصدر نفسه أن عمر بن الخطاب خطب فقال: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وفى الله شرها فمن عاد لمثلها فاقتلوه. راجع من صفحة (١٤٤ - ١٥٠). قال محمد هانيء المغربي: ولكن أمراً كان أرم بينهم، وإن =

ويمضي المقداد في تأمل باطني سحيق فتتراءى له صورتان
بارزتان تجمعهما لوحة واحدة: صورة منع «بعث» أسامة...
وصورة منع الرسول من كتابة الكتاب الذي ينقذ المسلمين أبد
الآباد من مهاوي الضلال... وتأتي بيعة أبي بكر، فتكمل
بالوانها وظلالها رسم اللوحة الفنية المعبرة...

ثم يترك داره في «الجرف» ويسعى إلى المدينة وهو يقول: يا
للأمر العجاب المروع!!



ويدخل بعضهم دار أبي بكر في «السنح» بعد هزيع من
الليل، فيجد فيه: أبا بكر، وعمر، وأبا عبيدة، وخالد بن
الوليد، فيخبرهم: أن المقداد بن الأسود يعقد اجتماعاً سرّياً في
دار أبي بن كعب، مع أبي ذر، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن
اليمان، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وغيرهم...

- وماذا دار في الاجتماع؟؟

- قال المقداد: أما كان أولى بعمر وأبي بكر أن يقولوا
للمجتمعين من الأنصار: رويداً يا أخوة الإيمان، حتى نوارى
جثمان نبينا العظيم جدث الرحمة، ثم نجتمع فنبرم أمرنا كما
يحب الله ورسوله؟؟!!

وقال: كيف يتركون رسول الله على المغتسل، ويستغلون
اشتغال علي وأهل بيته بتجهيزه، ويستولون على ميراثه...؟؟؟

= قال قوم فلانة غير مبرم (وراجع الطبري، قسم أول - ٤ - ص ١٨٢٢ أحداث
عام ١٣.

فقال عمر: وهل ثمة شيء آخر؟؟

- اتفقوا على رفض البيعة، وجعل أمر الخلافة شورى بين المسلمين...

ويرسل عمر إلى المغيرة بن شعبة، ليسمعوا رأيه، فيرى أن يذهبوا إلى العباس، ويقولوا له: سنضع هذا الأمر في ولدك بعد أبي بكر، فيبايع، وينتهي الهاشميون إلى صراعٍ ويفضاء...

ورداً على مؤتمر المقداد وصحبه، كان يدخل مسجد رسول الله (ص) في الصباح الباكر، قبل ارتفاع الأذان أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، وسالم، وخالد، وكلما دخل أحد المسجد حملوه على البيعة حملاً...

وفي الضحى يقول العباس للمقداد: إن القوم جاؤوه يعرضون عليه أن يبايعوا أحد أبنائه بعد أبي بكر، على أن يبايع فردهم، رداً قاطعاً^(١).

وبينما كانت الأمور تطرد على هذا النحو لتثبيت البيعة لأبي بكر، كان بيت علي بن أبي طالب (ع) يتلهب جمرًا من الآلام. فهناك فاطمة بنت رسول الله (ص) ما برحت أنفاسها تتصاعد أنيناً يحرك في الأفتدة غصص الدموع...

وهناك سبطا رسول الله: الحسن والحسين، ما زالت عيونهما تكف قطرات الأسى على فقد جدتهما رسول الله...

(١) راجع، عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي بن أبي طالب - الجزء الأول، ص (١٨٠ - ١٨١) منشورات مكتبة العرفان - بيروت.

وهناك علي (ع) الذي فقد أخاه، وابن عمه، يتحمل عبء
الفاجمة المزلزلة بقلب المؤمن الصابر الصادق...

هنا حزن يجرح الأعصاب بأظافره النارية...

وهناك، عند قريش فرحة بكراً... ألم تُبعد علي بن أبي
طالب (ع) عن مقعد رسول الله (ص)؟؟ أما أصبح السلطان
سلطانها؟؟

وكان هنالك قبيلٌ ثالث من أصحاب رسول الله (ص) يردون
بيت علي كَسارى النفوس، يشوي الحزن قلوبهم على نار
الألم، لفقد رسول الله، ولما فَعَلَتْهُ قريش بعقد البيعة لأبي
بكر، وتظاهرها على ابن أبي طالب (ع) الذي حبه إيمان،
وبغضه نفاق^(١)..

ورغم سيطرة ذلك المناخ القاتم، اللهيف، لم يجدوا مَفْراً
من بحث الوضع السياسي الجديد، ومناقشته...

ويبدأ النقاش خافتاً، رزيناً، حزيناً...

ويُطبِقون جميعاً على أن قريشاً تضافرت على علي بن أبي
طالب (ع) حتى سلبته مقعده من رسول الله، وأن ذلك، قد
يؤدي بالإسلام إلى الانحراف عن مساره الرحمانى... وإلى أن

(١) الثابت الذي لا خلاف عليه من المسلمين قاطبة أن رسول الله قال لعلي: يا
علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، راجع في ذلك، صحيح
مسلم - الجزء الأول، صفحة (٦١) ط. مصر. وراجع ابن عبد البر:
الاستيعاب في هامش الإصابة - المجلد الثالث، ص (٣٧). وراجع الشيخ
محمد الصبان الشافعي: إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار، ص (١٥٤)
وراجع، الشبلنجي الشافعي: نور الأبصار، ص (٧١)، ط. مصر...

يخفض جناحيه تحت سماء الجليل الرصاصية...

ولكن، هل نستطيع نحن، في عصرنا هذا أن نُسلم بهذا الرأي ونُقره؟؟

لا ريب أن استقراء الأحداث التاريخية وتحليلها بمبعدي عن الهوى المتعصب يؤكد لنا أن قريشاً قد تضافرت على إبعاد علي (ع) عن مقامه من رسول الله (ص)،... وأن أبناء الصحابة من قريش، وقفوا من أهل البيت المحمدي - علي (ع) وأبنائه موقف آبائهم...

فقريش انحازت إلى عمر حين بايع أبا بكر... ووقفت مع عمر تشد أزره حين بايعه أبو بكر وكانت مع عثمان حين خُصَّه عمر بالخلافة.... ووقفت عندبيعة علي مع: عائشة، والزبير، وطلحة، عندما نكت هذان بيعتهما لعلي، يقول لطبري في الصفحة (٣٢١٣) «أخذ خُطام جمل عائشة سبعون رجلاً من قريش كلهم يقتل» وحين استولى معاوية بن أبي سفيان على الحكم صَفَّقُوا لمعاوية وباركوه... وبايعوا يزيد حينما فرضه معاوية حاكماً للمسلمين... وهذا يدفعنا للتساؤل: لماذا وَقَفَت الصُّحابة وأبناؤهم من قريش ضد البيت المحمدي المطهر من الرجس؟؟(١)

(١) أخرج مسلم في صحيحه: عن عائشة قالت: خرج النبي غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً. راجع الجزء السابع من صحيح مسلم، ص (١٣٠) ط. مصر. (باب فضائل أهل البيت)، وأخرج مسلم في=

ثمة سببان يطرحهما واقع تلك الفترة التاريخية من الزمن
يجيبان على هذا التساؤل.

الأول: كانت قريش مؤمنة أن علي بن أبي طالب سيسير فيهم،
إذا تولَّى الخلافة سيرة رسول الله، فلا طبقية تهينم على
المجتمع العربي - الإسلامي... ولا استغلال لطاقات
سواعد الجماهير الكادحة، بل عدالة
إسلامية - اجتماعية، قيمة كل امرئ ما يحسنه...
وقريش تود غير هذا... إنها تتشهى أن تعيد سيطرتها
الجاهلية تحت لواء الإسلام...

الثاني: إن قلوب قريش مشحونة بالضغن على ابن أبي طالب
(ع)، فهو قد قُوت عليهم قتل الرسول (ص) يوم
الهجرة... وهو الذي جَزَّ بسيفه، في معارك: بدر،
وأحد، والخندق، أعناق أماليد شبانها... وأبطالها
الذين كانوا يريدون أن يطفؤوا نور الإسلام...

وجهاد علي (ع) وإخلاصه لمبادئ الإسلام، هو الذي رفعه
مكاناً علياً عند الله ورسوله (ص) والمؤمنين...

وجهاده هذا الذي رفعه مشعلاً في دنيا العقائد، هو الذي
جعل قريشاً تكرهه، وتكيد له، ولأبنائه من بعده كلما وجدت
إلى الكيد سبيلاً...

= صحيحه: أنه لما نزلت آية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول
الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي (راجع باب من
فضائل علي، ص ١٢٠ - ١٢١ من المصدر السابق).

ومن الواضح أن أكثر قريش لم تدخل في دين الله مختارة .. رأت أن الله قد أظهر الإسلام، . . وأنها لا طاقة لها بدفعه، فدخلت فيه، ولكن، لم يرتفع بها إسلامها إلى درجة الإيمان الذي يَجِبُ أحقادها الجاهلية الظمأى للتأر من علي (ع)، الذي يُحِبُّ الله ورسوله (ص)، ويُحبه الله ورسوله (ص) (١)، والذي هو من رسول الله (ص) بمنزلة هرون من موسى (٢).

ذلكم - في رأينا - هما السببان اللذان جعلنا قريشاً تأكيد علياً (ع) وأهل بيته النوي...

وهذه الحقائق، أخذ يُدرکہا، ويظهرها للناس، علماء، وأدباء معاصرون من خريجي الأزهر الشريف في مصر ومن غير خريجي الأزهر.

لُتَلَقِ بآذاننا إلى الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود، يحدثنا عن

(١) أخرج البخاري في المحلّد الثاني - الجزء الرابع من صحيحه، صفحة (٦٥) مطابع الشعب، ١٣٧٨هـ. عن سلمة بن الأكوع أن الرسول قال يوم حير: لأعطين الراية عدلاً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه، فأعطاه علياً ففتح الله عليه (باب ما قيل في لواء النبي)، وراجع، صحيح مسلم، الجزء السابع، صفحة (١٢١)، باب فضائل علي بن أبي طالب، ط. مصر. وزاد فقال: قال عمر بن الخطاب، ما أحست الإمامة إلا يومئذ، قال فتساورت لها، رجاء أن أدعى لها قال. فدعا رسول الله علي بن أبي طالب فأعطاه إياها

(٢) أخرج مسلم في الصفحة (١٢٠) من المصدر السابق عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله قال لعلي (يوم تنوك) أما ترضى أن تكون مني بمرلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وراجع صحيح البخاري - الجزء السادس صفحة (٣) باب غروة تنوك

ذلك، فيقول: «كان عليّ يعلم هذا من قريش (أي حقدّها عليه) ويعلم أن علوّ آل عليّها هو سبب خذلانها إياه، كما سعت من قبل إلى خذلان محمد، لولا أن قهرها على الالتفاف حوله، أما وقد أصبحت اليوم تستطيع أن تنصر، وتستطيع أن تخذل، فقد سارعت تمد أكفها إلى شيخ بني تيم (أبي بكر) مؤيدة، وتلوي رقابها عن الأولى ببسط الكف، واجتماع الأراء...».

«كرهت قريش إذن أن يذهب بشرف السلطان عليها رجل من الألى باؤوا في العصور بمحقدّها عليهم، وأبث أن تجمع لدار هاشم شرفين: شرف النبوة، وشرف الخلافة، ولو كانت استطاعت أن تخلع عن رقابها هذا الشرف الأول لما توانت، كما سارعت إلى الثاني تنفضه عنها»^(١).

وهذا الأستاذ عبد الكريم الخطيب يقول تحت عنوان «خاطرة»: «وهذا الذي كان من علي ليلة الهجرة، إذا نظر إليه في مجرى الأحداث التي عرضت للإمام علي في حياته بعد تلك الليلة، فإنه يرفع لعيني الناظر، أمارات واضحة، وإشارات دالة، على أن هذا التدبير الذي كان في تلك الليلة، لم يكن أمراً عارضاً بالإضافة لعلي، بل هو حكمة لها آثارها، ومعقاتها، فلنأخذ أن نسأل: أكان لإلباس الرسول شخصيته لعلي، تلك الليلة، ما يوحى بأن هناك جامعة تجمع بين الرسول وبين علي، أكثر من جامعة القرابة القرية التي بينهما؟».

(١) عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي بن أبي طالب - المجموعة الكاملة - المجلد الأول، ص (١٧٩).

«وهل لنا أن نستشف من ذلك، أنه إذا غاب شخص الرسول، كان عليّ هو الشخصية المهيأة لأن تخلفه، وتمثل شخصيته، وتقوم مقامه؟؟»

«وأحسب أن أحداً قبلنا لم ينظر إلى هذا الحدث نظرنا إليه، ولم يقف عنده وقفنا تلك، حتى شيعة علي، والمبايعين في التشيع له، فإننا نراهم لا يلتفتون كثيراً إلى هذه الواقعة، ولا يقيمون منها شاهداً يشهد لعلي، أنه أولى الناس برسول الله، والقيام مقامه، على حين نراهم يتعلقون بكل شيء يرفع علياً إلى تلك المنزلة، وأحسب كذلك، أننا لم ننعسف كثيراً، حين نظرنا إلى علي، وهو في بُرْدِ رسول الله، وفي مثوى منامه الذي اعتاد أن ينام فيه، فقلنا: هذا خلف رسول الله، والقائم مقامه».

«ثم نحن إذا نظرنا إلى علي، وهو يواجه قريشاً، بعد أن فعل فعلته بها، وبعد أن صبغها تلك الصبغة المذلة المهينة، ثم تصفحنا هذه الوجوه المنكرة، وتلك الأعين المحدقة، وهي ترمي علياً بنظراتها الحارة المتوعدة، إذ خدعها عن محمد، ومكر بها، حتى أفلت محمد من بين يديها - ألا يذكرنا هذا المشهد بما كان من قريش لعلي، وإرهاقها له، وتجنيتها عليه، بعد أن دَخَلَتْ في الإسلام، حيث لم ير منها إلا حنقاً عليه، وكيداً له، وازوراراً عنه؟؟»

وإن لك أن تقول: إن الفرق كبير بين قريش الملحدة الكافرة، المتحدية للرسول، ولمن يجتمع إلى الرسول، وبين قريش المسلمة، المستجيبة لرسول الله، والمجاهدة في سبيل الله . . .

ولكن، لنا نحن أيضاً أن نقول: إنه ، إذا كان الإسلام، قد ذهب بسخائهم النفوس، وضمَّد جراحات القلوب، فإنه قد بقي في كثير من النفوس بعض هذه السخائم مندسةً خامدة، إذا حركتها الأحداث تحركت، وبقي في بعض القلوب ندوب، وهي ساكنةٌ ما سكنت الأحداث، فإذا طاف بها طائف من المواقف المتأزمة، نفَّرت، وألقت بما فيها من قيح وصدید»

«إن هذا الذي كان من علي ليلة الهجرة، في تحديه لقريش، هذا التحدي السَّافر، وفي استخفافه بها، وقيامه بينها ثلاثة أيام، يغدو ويروح - إن ذلك لا تنساه قريش لعلي أبداً، ولولا أنها وجدت في قتله يومئذ إثارةً للفتنة، تُمزِّق وحدتها، وتشتت شملها، دون أن يكون في ذلك، ما يبلغ بها غايتها في محمد، لولا ذلك لقتلته، وَشَفَّتْ ما بصدرها منه، ولكنها تركته ، وانتظرت الأيام لتسوي حسابها معه...»

«وأمر آخر... هاجر الرسول (ص) إلى المدينة، وتَرَكَ وراءه في مكة قلوباً مضطغنةً عليه، مغیظةً منه، متحرقةً إلى ضره وأذاه... واستقبل في مهاجرة الجديد وجوهاً فياضةً بالبشر، وقلوباً عامرةً بالخير والحب...»

وها هو ذا علي (ع) يخلف رسول الله (ص)، في هذا المجتمع المضطرب، ومع هذه الجماعة الحانقة المبغضة، يعيش معها أياماً، ثم يلحق بالرسول (ص) في مهاجرة الجديد...»

ثم مضى الرسول (ص) إلى ربه، ولحق بالرفيق الأعلى، وانتقل من دارٍ إلى دارٍ خير منها - أشبه بانتقاله مهاجراً من مكة

إلى المدينة، وترك علياً (ع) وراءه، يصطدم بالأحداث، ويكابد الشدائد، حتَّى يلحق بالرسول (ص) في الرفيق الأعلى، كما لحق به في مهاجره من قبل»^(١).

وهذا الأستاذ جودة عبد الحميد السحار يقول في كتابه «غزوة بدر»: «وراح عليُّ بن أبي طالب يفعل بقريش الأفاعيل، فما من رهط من بيوت شرف قریش، إلَّا وقد قَتَلَ منه رئيساً. إنه ترك حنظلة بن أبي سفيان مجذلاً بسيفه، فأوغر صدور الأمويين، وقتل الوليد بن عتبة بن ربيعة، فقلب عليه بني عبد شمس، واشترك مع عمه في القضاء على طعيمة بن عدي، وترك الحارث بن زمعة بن الأسود كأمس الدابر، فأصبح هدف أحقاد بني أسد، وزاد في حقدهم أنه ثَنَّى بنو فل بن خويلد بن أسد.

وأضاف إلى الأحقاد، أحقاد بني تيم، لما صرع عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب، بن سعد بن تيم، بضربة من حسامه. وقطع رأس أبي قيس بن الوليد، أخى خالد بن الوليد، فاكتسب عداوة بني المغيرة، وبني مخزوم، وأضاف إليه مسعود بن أمية بن المغيرة، وحاجز بن السائب المخزومي، فكانت قلوب بني المغيرة، وبني مخزوم كلها عليه».

وقتل من بني سهم خيرة رجالهم: جَدَلُ منبه بن الحجاج، ونبيه بن الحجاج، والعاص بن مُنْبه بن الحجاج، وأبا العاص بن

(١) عبد الكريم الخطيب: علي بن أبي طالب من صفحة (١٠٥-١٠٧) طبعة ثانية - بيروت (١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م).

قيس بن عدي بن سعد بن سهم، فكان فتى بدر، أطاح برؤوس أبناء الشرف من قريش في سبيل الله، فبذر الغل في الصدور، وراح يقاسي مرارة الأحقاد، على مَرِّ الأيام، وإن جاء الإسلام، حتى آخر الأنفاس»^(١).

وقال الدكتور علي شلق: «ولشمائل علي النادرة، خاصمه عصره، فلم يهبط إلى درجته، ولم يرتفع عصره إلى فهمه، وبقيت بقايا عميقة في نفوس القرشيين من الحقد عليه، إذ هم لم ينسوا مصارع أبنائهم، في معارك الإسلام، التي نصر فيها الإمام دعوة رسوله (ص)»^(٢).

ويقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون في كتابه «خطط الكوفة»؛ «لم يكن مع الخليفة علي بن أبي طالب في واقعة (صفين) من قريش إلا خمسة، بينما انحاز إلى معاوية ثلاثة عشر بطلاً من بطون قريش»^(٣).

(١) راجع عبد الحميد جودة السحار: غزوة بدر، ص (٦٥ ٦٦). ط. دار الطباعة في مصر - ٣٧ - شارع كامل صدقي.

(٢) راجع الدكتور: علي شلق: كواكب الإسلام - الإمام علي بن أبي طالب، ص (١١٣) ط. دار المسيرة - بيروت، ط. أولى، ١٩٧٩.

(٣) لويس ماسينيون: خطط الكوفة، ص (١٣)، وماسينيون عضو في كثير من المجامع العلمية - شرقية وغربية، وله مؤلفات عديدة في الشؤون الإسلامية، ولا سيما الصوفيّة منها، وراجع: رمزية عبد الوهاب الخيرو: إدارة العراق في صدر الإسلام، صفحة (١٧٤) ط. دار الحرية في بغداد ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م. أما الخمسة الذين كانوا مع علي فهم: محمد بن أبي بكر من (تيم) قريش، ربيب علي، وهو ابن أسماء بنت عميس من أبي بكر الصديق.. وجعلته بن هبيرة من «مخزوم» قريش، كان مع علي كونه ابن أخته أم هاني. ومحمد بن حذيفة العبشمي، وهاشم بن عتبة الزهري ورجل

هذه الحقائق التي يكشف عنها المتحررون فكرياً من مثقفي هذا العصر، كان يعيها أصحاب الرسول (ص) الذين يأتون بيت علي (ع) وعياً تاماً، وعلى رأسهم: المقداد بن الأسود الكندي. وكان أشدهم وعياً لها، علي بن أبي طالب (ع)، لأنه يعرف بغض قريش له... ولأن رسول الله (ص) أنباه أنه سوف يكون مرمى لأضغان قريش، بعد مماته.

يروى الفاضل الشبلنجي الشافعي، المدعو بـ «مؤمن»، في كتابه نور الأبصار «أن رسول الله (ص) عانت علياً يوماً، ثم أجهد بالبكاء، فقال له علي (ع): ما يبكيك يا رسول الله

١١٩٩

ـ ضغائن لك، في صدور قوم، لا يدونها لك، إلا بعد موتي»^(١).

إذن، فعلي (ع) كان يعرف ذلك... ومن رسول الله (ص)... ولهذا كان يتلقى الصحابة الذين يطلبون إليه، أن يعلن نقض بيعة أبي بكر، بأحضان محبته، ويُلطّف من توقّدهم

«آخر، لم يُسمّه المؤرخون». راجع، محمد تقي التستري: قضاء أمير المؤمنين علي، ص ٣٢٨، ط. دار التربية - بغداد: ١٩٧٩. وراجع كنز العمال - كتاب الفضائل الجزء السادس صفحة (٤٠٨)، نقلاً عن البزار، وأبي يعلى وغيرهم.

(١) الشبلنجي الشافعي: نور الأبصار، ص (٧٢). وراجع الحافظ القندوزي الحنفي: ينابيع المودة، ط (٨)، ١٩٤٤، ص (١٣٥) حيث ترى الرسول يقول لعلي: «أتى الضغائن التي في صدور قوم أخبرني جبريل: أنهم يظلمونك بعدي، وأن ذلك الظلم عظيم لا يزول»، راجع المحب الطبري: الرياض النضرة الجزء الثاني، ص (٢١٠) نقلاً عن مناقب أحمد، وغيرها.

الساخت بكلماته الهادئات، الزاكيات...

كان الصحابة من محبي علي (ع) يرون: أن الخلافة حقٌ لعلي (ع)، قضى به الله ورسوله (ص)...

وكانوا يرون أن علياً (ع) لو رفع صوته محتجاً بقرابته من رسول الله (ص)... وبأقوال الرسول (ص) فيه... لتوقف مدُّ بيعة أبي بكر توقفاً تاماً...

وكانوا يرون: لو أن علياً، لَوَّحَ بلذي الفقار، لانصهرت بروق المطامع... وانتهى كل شيء... إلى خمود...

أما علي (ع) فكان يرى غير ما يرون... كان يعلم، أنه لن يسفر عن (قرآن الاحتجاج) صباح، لأن كل ما سيتحدث به، معروف لدي جميع المسلمين...

وكان يعلم أنه مسيح جديد في «مملكة قيصرية». وأن خَشَبَةَ صلبه، تُنَحَّت برفق، ودهاء. ولكنه لم يكن يخشى الصلب... فهو مستعدٌ لتقبل مأساة عيسى كلمة الله...

وإنما كان يخشى تصدعاً لبناء الإسلام. كان يخشى أن يطمر قياصرة قريش، جواهر الإسلام، تحت رماد جاهليتهم، فيحجبون عن الإنسانية جنات نعيم الروح والجسد، فيصبح الإسلام بذلك هيكلاً خاوياً من الروح...

ذلك شيء من حسابات علي (ع)، في تلك الغمرة التي تنفث سُحْباً من الدخان الكثيف... لم يتبين ضميره بسببها من المسلمين إلا القليل القليل...

ويأتي المقداد يوماً على رأس وفدٍ من الصحابة يقول لعلي
(ع): أبسط يدك نبأبعك...
فماذا قال لهم؟؟..

لِنُصْغِ إلى أبي جعفر الإمام محمد الباقر يقص علينا خبر
ذلك، قال: «جاء المهاجرون والأنصار، بعد بيعة «أبي بكر»
إلى علي (ع)، فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين، وأنت والله
أحقُّ الناس وأولاهم بالنبي (ص)، هَلُمَّ يدك نبأبعك..
فقال علي (ع): إن كنتم صادقين، فاغدوا عليَّ
محلّقين...»

فَحَلَّقَ سلمان، والمقداد، وأبو ذر، ولم يحلق غيرهم، فكان
المقداد أحدَ ثلاثة عرف لعليّ (ع) حقه^(١).

ويُصر علي (ع) عيون الذئاب ترمي صرح الإسلام
بالشرر...

إنها تتلهف أن ترى نابت الشقاق يعظم بين أصحاب رسول
الله (ص)، لتجد جراحة على رفع سيوف الضلال في وجه
الإسلام... ويرى أن عليه أن يستمر في الحفاظ على بقاء
الإسلام نبع طاقات خَلْقة تحرك البشرية دوماً في مصاعد التطور
الحضاري الفاعل... فإذا هو يقول للمقداد: يا مقداد! لن
يضير عليّ بن أبي طالب، ولا أبناء علي، وهم وحدهم أهل
بيت محمد رسول الله، أن يَنْدُلُوا من قلوبهم دماء يحيى بن
زكريّا في سبيل بقاء كتاب الله، وشهادة: لا إله إلا الله، محمد

(١) الطوسي: اختيار معرفة الرجال، صفحة (٩).

رسول الله...، نبراساً هادياً للأجيال بعد الأجيال حتى قيام الساعة...

ويشاهد المقداد عيني علي (ع) تلمعان ببريق عجيب... باهر... وهو يقول تلك العبارات، التي تبدو، وكأنها تلف في مضامينها سِرَّ خلود الإسلام... وعظمة الإسلام... وأشياء أخرى...

وينهض علي (ع)، فيمضي إلى أبي بكر فيبايعه... ثم يبايعه المقداد، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، وسلمان، وغيرهم...

يوم اليرموك المقداد في معركة اليرموك:

العام (١٣هـ)، وفي يوم الخميس من شهر رجب من هذا العام، بدأت معركة اليرموك.

كان رسول الله (ص) قد وعد المسلمين يوم الأحزاب (الخندق) أن الله سيفتح عليهم بلاد فارس، والروم...

وكانت هاتان الدولتان تفرضان على العالم ظلماً اجتماعياً خانقاً... واستعباداً باطشاً...

ولم يكن لينفذ العالم من محنته هذه، إلا «ايدولوجية» الإسلام التي ترفع عن الإنسان كل أنواع الظلم... وتجعل من الناس إخوة (إنما المؤمنون إخوة)^(١)، وتساوي بين الجميع

(١) سورة الحجرات آية ١٠.

الحقوق والواجبات (الناس سواسية كأسنان المشط)^(١).

وقد انتقل الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى بعدما اكتمل الله الدين . .

وكان لا معدى للخليفة الذي يأتي بعده من أن يعمل لنشر الرسالة المحمدية، وتخليص الإنسانية من الشرور التي تحرقها . .

ويدخل العام الثالث عشر للهجرة المحمدية، فيستشير أبو بكر الصحابة . . ثم يجهز جيشاً إلى الشام، ويعقد لواء هذا الجيش لخالد بن سعيد بن العاص، ولكنه يعزله من القيادة، قبل أن يتحرك الجيش، ويولي مكانه يزيد بن أبي سفيان.

لماذا عزله؟

يقول الطبري: «كان سبب عزل أبي بكر خالد بن سعيد، أن خالداً حين قدم من اليمن، بعد وفاة رسول الله (ص)، تربص ببيعته شهرين، وقد لقي (أي حين مجيئه من اليمن) علي بن أبي طالب (ع)، وعثمان بن عفان، فقال: يا بني عبد مناف! لقد طبتم أنفساً عن أمركم يليه غيركم^(٢) . . .

فأما أبو بكر فلم يحفلها عليه، وأما عمر فاضطغنها عليه . . فلماً أمره أبو بكر، أخذ عمر يقول له: أتؤمره، وقد صنع ما

(١) حديث نبوي . .

(٢) أبو هلال العسكري يقول. إن خالداً خاطب علي بن أبي طالب وحده بذلك الخطاب.

صنع، وقال ما قال...؟ فلم يزل بأبي بكر حتى عزله، وولى مكانه يزيد بن أبي سفيان».

ويقول الطبري: وعندما ولى أبو بكر خالد بن الوليد، حاول عمر أن يثنيه عن تأمير خالد بن الوليد، حينما أرسله إلى العراق، فأبى أبو بكر. أن يطيعه في خالد...

ويمضي الطبري في التحدث عن تجهيز أبي بكر للجيش العربية - الإسلامية فيقول: «ثم أرسل عمرو بن العاص، وأمره على فلسطين، وأرسل الوليد بن عقبة، وأمره على الأردن. وأرسل يزيد بن أبي سفيان، وأمره على جند عظيم... واستعمل أبا عبيدة بن الجراح وأمره على حمص، وخرج معه، وهما ماشيان، والناس معهما وخلفهما... وأوصى كل واحد منهما... ثم اجتمع إلى أبي بكر أناس، فأمر عليهم معاوية بن أبي سفيان، وأمره باللاحق بيزيد، وأرسل شرحبيل بن حسنة بعدما ندب معه الناس».

ويستمر الطبري قائلاً: وأوعب القواد بهذه الجيوش نحو الشام، وسير أبو بكر عكرمة بن أبي جهل ردهاً للناس (أي عوناً).

قادة الروم في الشام يكتبون إلى هرقل:

ويقول الطبري: «ويبلغ الروم ذلك، فيكتبون إلى هرقل، فيخرج هرقل من القسطنطينة حتى ينزل بحمص، يُعد للمسلمين الجنود، ويهيء لهم العساكر، ثم أراد إشغال بعضهم عن بعض بكثرة جنده، وفضول رجاله، فأرسل إلى عمرو بن



معركة اليرموك

العاص أخاه «تذارق» فخرج نحوهم في تسعين ألفاً، فنزل بأعلى فلسطين. وبعث «جرجة بن تودار» نحو يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه... وبعث «الدراقص» فاستقبل شرحبيل بن حسنة. وبعث «الفيقار بن نسطوس» في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة.

فهابهم المسلمون لكثرتهم، وفطن قادة الجيوش العربية إلى الغاية التي يرمي إليها «هرقل» من محاربة كل قائد منفرداً، فانفقوا على أن يجتمعوا معاً، ويكُونوا عسكرياً واحداً، يلاقي زحوف المشركين، واجتمعوا باليرموك^(١).

هرقل يطلب من قادة جيوشه أن يجتمعوا للعرب جيشاً واحداً.

«ويبلغ ذلك هرقل، فيكتب إلى «بطارقته»^(٢): أن اجتمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً، واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب، وعلى الناس (أي القائد العام) «التذارق» وعلى المقدمة «جرجة»، وعلى المجنبيين: «باهان، والدراقص»، وعلى الحرب «الفيقار» وابشروا، فإن باهان على الأثر مدد لكم..

ففعّلوا، فنزلوا «الواقصة»، وهي على ضفة نهر اليرموك،

(١) اليرموك: من روافد نهر الأردن، ينبع من هضبة حوران، ويصب فيه نهر الزرقاء، قرب جسر المجامع، يجري بين جبال عجلون والبلقاء (منجد الأسماء) واليرموك، سياسياً، اليوم، تابع للملكة الأردنية الهاشمية.
(٢) البطارقة: جمع بطريق، قائد الجيش.

وصار الوادي خندقاً لهم، وهو لِهَبٌ^(١) لا يدرك».

«وانتقل المسلمون عن معسكرهم الذي اجتمعوا له، فنزلوا عليهم بحدائهم، وعلى طريقهم، وليس للروم طريقٌ إلا عليهم، فقال عمرو: أيها الناس! أبشروا، حُصرت والله الروم، وَقُلْ ما جاء محصور بخير، فأقاموا بإزائهم على طريقهم».

وظلوا على ذلك شهر صفر، وربيع الأول، لا يقدرّون من الروم على شيء، ولا يخلصون إليهم، واللهب من ورائهم، والخندق من أمامهم، ولا يخرجون خرجة إلا أدبل^(٢) المسلمون منهم».

المسلمون يكتبون إلى أبي بكر يطلبون مدداً... فيكتب إلى خالد بن الوليد:

يقول الطبري: ويأتي خالداً (وهو في العراق) كتاب أبي بكر، فيقول خالد: هذا عمل الأعيسر ابن أم شملة^(٣)...

ويسير خالد في عشرة آلاف اختارهم من الناس، بعدما ترك المثنى بن حارثة الشيباني على الجيش في العراق، فوافى

(١) اللهب، بكسر اللام، وسكون الهاء الفرجة، والهوة بين جبلين، والواقصة وإد في الشام من أرض حوران قرب اليرموك وياقوت معجم البلدان.

(٢) أدبل المسلمون منهم: كان لهم النصر عليهم.

(٣) يعني بذلك عمر بن الخطاب، وكان عمر أعسر يَسِر كما يقول صاحبُ العقد الفريد في المجلد الثالث (باب نسب عمر بن الخطاب)

المسلمين في اليرموك، وهم يقاتلون متساندين، كل جند وأمير، لا يجمعهم أحد، وكان عسكر أبي عبيدة في اليرموك، مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص، وعسكر شرحبيل، مجاوراً لعسكر يزيد بن أبي سفيان، وقدم خالد، وهم على حالهم تلك، فعسكر على حدة، ووافق قدوم خالد، والمسلمون متضايقون قدوم «باهان» بمدد من الروم، فنشطوا بمددهم، والتقوا مع المسلمين، فهزمهم الله، حتى ألجأهم وأمدادهم إلى الخنادق، والواقصة أحد حدوده، فلزموا خندقهم شهراً كاملاً، والقيسيون، والشمامسة، والرهبان، يحضونهم، وينعون إليهم النصرانية، حتى استبصروا، فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال مثله، في جمادى الآخرة، فلما أحس المسلمون خروجهم، وأرادوا الخروج متساندين^(١)، جاء خالد، فحمد الله، وقال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر، ولا البغي: أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بملككم، فإن هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبئة، على تسانيد وانتشار، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي، وإن من ورائكم، من لو يعلم عملكم، لحال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به، بالأمر الذي ترون أنه الرأي، فاهلموا، فلتتعاون الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً، والآخر بعد غدٍ، حتى يتأمر كلكم، ودعوني إليكم اليوم».

فأمروه، وهم يرون أنها كخرجاتهم، وأن الأمر أطول مما صاروا إليه».

(١) متساندين: كل أمير على جيشه لا قيادة عامة تجمعهم...

الروم يخرجون للقاء العرب - المسلمين :

ويستمر الطبري قائلاً: فخرج الروم في تعبئة لم يرَ الراؤون مثلها قط، وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب من قبل - خرج في أربعين «كردوساً»^(١)، وأمر على كل كردوس قائداً من أبطال المسلمين، وقد قسم الجيش إلى: قلب، وميمنة، وميسرة»^(٢).

الحالة النفسية لكلا الجيشين :

المقداد يقرأ سورة الجهاد:

المعركة الفاصلة :

كان المسلمون على إيمان مبصر، أنهم سيتصرون على الروم انتصاراً مؤزراً..

لقد وعدهم نبي الهدى محمد بن عبد الله (ص)، أن الشام ستفتح لهم أبوابها..

وهم ليسوا بغاة، بل رسل خير، للجماهير المسحوقة التي يريدون أن يصنعوا لها الخبز المحرّر من العبودية... ويقدمون لها ثروة: عقلية... وخلقية... وسلوكية... وعقائدية...

وإنهم ليعلمون، أن الصديق في الجهاد، هو الصراط الأوحى الذي يحملهم إلى جنان النصر... ويهيئ للناس: تنمية...

(١) الكردوس: الطائفة من الجيش.

(٢) راجع: محمد بن جرير الطبري، القسم الأول - ٤ - صفحة (٢٠٨٧)، باب وقعة اليرموك - مكتبة خياط - بيروت.

وتقدماً، ... ووثاماً، ...

وإن كُلاً منهم ليرى مقامه في الجنة إذا استشهد، نعيماً ظليلاً،
وماءً زنجبيلًا، وصفاءً عليلاً...

ولأنهم ليعلمون أن سحقهم الروم يعني: سحق البغي...
وصباحاً سمحاً للعدالة، والحرية، والكرامة الإنسانية... ومغانم
كثيرة يأخذونها: هناءً دققاً، وعيشاً طلقاً...
إذن، فكيف لا يستأسدون في القتال؟؟؟

* * *

هيه!! أصغوا صوتٌ بهيٌ ينبعث من نسغ القلب نوراً يتغلغل
في خلايا النفس، يشعل فيها وَقْدَةَ الإباء، والبطولة، ويشوقها
إلى جنة الخلد، وبملك لا يلى...

مَنْ هذا المثل الرائع الذي اختارته القيادة ليتلوه علينا آيات
الله لحناً نضالياً مثيراً...؟؟؟

وتطاوالت الأعناق إلى صاحب الصوت حُباً، وإعجاباً...
ويتنقل السؤال بين الصفوف: من هذا القاريء الملاك؟؟؟
ويُحذون إليه النظر... ثم يلتفت كل منهم إلى صاحبه يقول
له: ويك! ألم تعرفه؟؟؟

انظر إلى قوامه الطويل، وجسمه الممتليء، ووجهه الحادّ
السمرة، وعينه المصباحين، المشعين بالإيمان، أما عرفته؟؟؟

وينظر هذا في مرآة ذاكرته، ويعود يتفحصه بنظراتٍ ثاقبة، ثم
يقول باسمًا: وَيّ، إنه المقداد بن الأسود الكندي فارس رسول
الله (ص)، وأحد نجبائه، وإنه ليتقلد السيف الذي حارب فيه

المشركين أمام رسول الله (ص) في بدر، وإنه ليتنكب القوس
التي دفع بها طغْيَ قريش عن رسول الله (ص) يوم أحد...

وإنه ل يبدو فيما يطفو على وجهه من إرادة عارمة، أنه فتى
طري الشباب، رغم أنه زاحم الستين...

هو ذا يقول، وقد فرغ من التلاوة: الجهاد... الجهاد...
الجنة تحت ظلال الأسنة يا جند الله...

وها هو يخترب سيفه ويهجم على الروم ظالمي العباد،
والبلاد...

انظروا، إن النصر ليضيء في شفرة سيفه...
وتطير الأبطال إلى حُمَيَّ المعركة كل مطار... إنهم يُريدون
أن يستبدلوا الأرض بالسماء...

وتدور رحي الحرب حائرة طاحنة...
المسلمون ينصبون على جحافل الروم قذائف من حميم...
وإن صوت المقداد، ومنظر المقداد، وهو يزحم كتائب
الروم، ليتوثب في مشاعرهم ناراً...
الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر...

إنه صوت المقداد، الجمهوري، الحلو، يقول: لبيك داعي
الله، لا فرار من الزحف، بل ذهاباً إلى الفردوس الأشهى، أو
نصراً تخشع له «بزنطة» من أدناها إلى أقصاها... وينصف
المحرومين.. ويعيد إليهم فضيلتهم الإنسانية المهانة.

وفي حين، كانت تلك حالة المسلمين النفسية... كان
الجند الروماني يركنون في حرب المسلمين إلى كثرتهم...

ولما شرع رجال الكهنوت يشحنون عواطفهم بوقود البأس،
لم يستطيعوا أن يجدوا في حياتهم الاجتماعية شيئاً يرغبونهم في
الحفاظ عليه، والذود عنه، سوى «النصرانية».

الدين فقط، هو الطاقة الوحيدة التي أثاروا ليرفعوا بها
معنويات جند قيصر العظيم...

وهذه الجماهير من الناس التي حشدوها لتحارب المسلمين،
ما كان ليغيب عنها أن القيصر «يطارقه»، بل وطبقة الكهنوت
نفسها، لم يكونوا يتقيدون من النصرانية بغير اسمها...

وهذه الجماهير يُعَنِّيها ظلم اجتماعي... وقهرٌ طبقي...
تحبُّ معهما أن يتفجر القيصر الكبير... ومن يتفياً رضى
القيصر... هباءً منبثاً... ومع ذلك فقد حاربوا...

حاربوا خوفاً من عقابٍ قاطع ينزل بهم، وبأزواجهم،
وأبنائهم، إذا انتصر قيصر الروم...

ولكن شتان بين الذين يحاربون خوفاً من جَلَاد الحاكم...
وبين من يحاربون قلباً واحداً مستتيراً بالعقيدة الصلبة... ولا
يعنيه من حياته إلا نصرٌ مُبين، أو استشهادٌ كريم...

وترتفع شمس النهار... وترتفع...
خطوة إلى الأمام يا جند الله إلى الأمام مقدار رمحٍ يا خيل
الله... إلى الأمام... إلى الأمام...

وما غربت الشمسُ حتى اندثُت قوة الروم... وولوا
هاريين... ولم تُغْنِ عنهم كثرتهم شيئاً...

ومن خلال سُحب الموت الهابطة على أرض المعركة، يرتفع

صوت المقداد بن الأسود الكندي يتلو آيات من الذكر الحكيم
ترتاح إليها النفوس المتعبة، المكدودة... وتجد فيها العزاء كل
العزاء... وتتضوع مسك ختام للمعركة الفاصلة...

لمحات من المعركة:

كان القعقاع، وعكرمة بن أبي جهل على مجنبي القلب...
ويطلب منهما خالد أن ينشبا القتال... فيفعلان...

يقول الطبري: «إن القعقاع ارتجز وقال:

يا ليتني ألقاك في الطراد قبل اعتزام الجحفل الورد
وأنت، في حلبتك الورد

وإن عكرمة ارتجز فقال:

قد علمت بهكنة الجواري أني على مكرمة أحامي»

ويؤتى بعكرمة بن أبي جهل، وبابنه عمرو جريحين، فيض
خالد رأس عكرمة على فخذيه، ورأس عمرو على ساقه، ويأ-
بتقطير الماء في حلوقهما ويقول: كلا، زعم ابن «حنتمة»^(١)
لا نستشهد^(٢)... :

وبينا المعركة وهجاً من نار، يقال لخالد: لقد أقبل شداد بن
أوس الأنصاري، ومعه رسالة من الخليفة...
ويسرع خالد إلى شداد يقتنص الرسالة منه... ويقرأها...

(١) ابن خنتمة: عمر بن الخطاب.

(٢) خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل من بني مخزوم.

ولا يأتي عليها، حتى يُظلم وجهه. وَيَخْنُقَ عينيه خيالٌ
حزين...

ما الخبر؟؟

مات أبو بكر، وتولّى الخلافة بعده عمر بن الخطاب... وقد
جاء عمر، في هذه الرسالة، يعزل خالدًا من القيادة، ويولّي
مكانه أبا عبيدة عامر بن الجراح...

ويكتم خالد أمر الرسالة... وعندما تنتهي المعركة، يجيء
أبا عبيدة، ويسلمه إياها... واضعاً نفسه تحت إمرته...

وفي أيام قلائل حافلة بالجهاد... تفتح الشام أبوابها لجند
الله... وصدق رسول الله فيما وعد به المسلمين...

أبو بكر يتلهف عند موته على ثلاث... وثلاث...

قال المسعودي في الجزء الثاني من كتابه معراج الذهب
صفحة / ٣٠١ / طبع «دار الأندلس» - بيروت، طبعة أولى،
تشرين أول ١٩٦٥. إن أبا بكر لما احتضر قال: «ما آسى على
شيء إلا على ثلاث فعلتها، ووددت أني تركتها. فوددت أني
لم أكن فتشت بيت فاطمة، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً، ووددت
أنى لم أكن حرقت الفجاءة، وأطلقتني نجيحاً، أو قتلتني صريحاً،
ووددت أنى يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد
الرجلين (عمر بن الخطاب أو أبي عبيدة، فكان أميراً، وكنت
وزيراً).

والثلاث التي تركتها ووددت أنى فعلتها، ووددت أنى يوم
أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه، فإنه خيل إلي أنه

لا يرى شراً إلا أعانه، ووددت أني كنت قد قذفت المشرق
بعمر بن الخطاب، فكنت قد بسطت يميني وشمالي في سبيل
الله، ووددت أني يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكاني
فإن سلم المسلمون سلموا، وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء
أو مدداً، وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش إلى مرحلة من
المدينة. وهو الموضع المعروف بذي القصة.

والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله عنها.
وددت أني كنت سألته فيمن هذا الأمر، فلا ينازع الأمر
أهله، ووددت أني سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ فإن
بنفسي منهما حاجة. ووددت أني سألته هل للأنصار في هذا
الأمر نصيب فنعطيهما إياه. (١)٢٢٢

* * *

المقداد بعد الفتح يقول: أتت علينا البعوث:

يروى البيهقي في السنن الكبرى عن أبي عبد الله الحافظ،
أنه أخبر فقال: أنبأ الحليم بن حسن المروزي، أنبأ «أبو
الموجه»، أنبأ عبدان، أنبأ عبد الله، عن صفوان بن عمرو؛
وأخبر عبد الرحمن بن جبير بن نفيير، عن أبيه قال: جلسنا إلى
المقداد بن الأسود بدمشق، وهو على تابوت من توابيت
الصيارفة، وقد أفضل عنها من عظمه، يريد الغزو، فقلت له:
لقد أعذر الله إليك. . .

(١) وراجع: الإمامية والسياسة: ابن قتيبة الجزء الأول صفحة (١٨). والأموال
أبو عبيد، صفحة (١٣١). وابن عبد ربه: العقد الفريد الجزء الخامس
صفحة (١٩)، ط. ١٩٥٣، تحقيق العريان.

فقال: أتت علينا سورة البعوث (التوبة) انفروا خفافاً وثقالاً، ولا أجدني إلا خفيفاً^(١).

إن جواب المقداد دُفعة الدم التي تنعش فؤاده... إنه يود، ما دام حياً، أن يعيش حياة الجهاد التي تعز الإسلام... وتقتلع أشواك الظلم من الدنيا... وتزرع مكانها بهجة الحياة وعزها...

المقداد في فتح حمص على رأس قبيلة «بلي» عام (١٥هـ).

يقول ابن الأثير في الكامل: «صالح أهل حمص أبا عبيدة، على صلح دمشق، وبعث أبو عبيدة المقداد بن الأسود على قبيلة (بلي)، وبلالاً وخالداً في الجيش، والسمط بن الأسود في بني معاوية، والأشعث بن قيس في السكون، واستخلف أبو عبيدة على حمص «عبادة بن الصامت، وكتب بالفتح إلى عمر^(٢)».

المقداد يعلم أهل حمص قراءة القرآن.

المقداد مشعل جهاد في الله، حيثما حلّ أضاء، والمجاهد، حين يترك للسيف أن يطعن، ليطعم شيئاً من الراحة الجسدية يفتح لنفسه باباً جديداً من الجهاد، فالمقداد في الفترة التي هدا فيها سيفه في غمده، طفق يعلم الناس القرآن الكريم...

(١) البيهقي: السنن الكبرى - الجزء التاسع صفحة (٢١) طبعة أولى - الهند، ١٣٥٦هـ.

(٢) ابن الأثير: الكامل - المجلد الثاني، صفحة (٤٩٢) طبع مصر (١٩٦٥)، والطبري قسم أول - ٥ - صفحة (٢٧٨٠) خياط - بيروت.

قال حذيفة لسعيد بن العاص، حين عاد من فتح
«أذربيجان»: لقد رأيتُ في سفرتي، لئن ترك الناس، ليخلفُن
في القرآن، ثم لا يقومون عليه أبداً.

قال سعيد: وما ذاك؟؟

قال: رأيتُ أناساً من أهل «حمص» يزعمون أن قراءتهم خير
من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد بن الأسود
الكندي ورأيتُ أهل «دمشق» يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة
غيرهم... ورأيتُ أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرأوا
عن ابن مسعود^(١).

في جلسة تنديها حلاوة الإيمان يقول لهم المقداد:

حدَّث عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: جلسنا
إلى المقداد يوماً، فمر به رجل فقال له: طوبى لهاتين العينين
اللتين رأتا رسول الله، والله، لوددنا، أننا رأينا ما رأيت، وشهدنا
ما شهدت، فاستغضب... فجعلت أعجب، ما قال الرجل إلا
خيراً... ثم أقبل المقداد إليه فقال: ما يحمل الرجل أن يتمنى
مَحْضَرًا غَيْبَهُ الله عنه، وما يدري لو شهدته كيف يكون؟؟

والله، لقد حَضَرَ رسول الله أقوامٌ كَبَّهُمُ الله على مناخيرهم
في جهنم، لم يجيبوه، ولم يصدقوه... أو لا تحمدون الله، إذ
أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم، مصدقين بما جاء به نبيكم،
ولقد كُفيتُم البلاء بغيركم؟؟...

(١) ابن الأثير: الكامل، المجلد الثاني صفحة (١١١) طبع ١٩٦٥.

والله، لقد بعث الله النبي (ص)، على أشد حالٍ بُعِثَ بها نبيٌّ من الأنبياء في فترةٍ وجاهلية ما يرون، أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقانٍ، فَرَّقَ بين الحق والباطل، وفَرَّقَ بين الوالد وولده... إن كان الرجل منا ليرى والده وولده وأنحاه كافراً، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك، دخل النار، فلا تقرُّ عينه، وهو يعلم أن حبيبه في النار، وأنها للتي قال الله عزَّ وجل: ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين...﴾ (١).

المقداد يقول: إن السعيد من تَجَنَّبَ الفتن...

وتَحَدَّثَ المقداد يوماً: أن قوماً طلبوا منه أن يجلس إليهم فقال: العجب من قومٍ مررتُ بهم آنفاً يتمنون الفتنة، يزعمون ليتليتهم الله فيها بما ابتلي به رسول الله (ص) وأصحابه. وأيم الله، لقد سمعت رسول الله يقول: إن السعيد لمن جُنَّبَ الفتن يرددها ثلاثاً، وإن ابتلي صَبَرَ.

وأيم الله، لا أشهد لأحدٍ أنه من أهل الجنة، حتى أعلم بما يموت عليه، بعد حديثٍ سمعته من رسول الله (ص)؛ سمعته يقول: لَقَلْبُ ابن آدم، أَسْرَعُ انقلاباً من القِدرِ إذا استجمعت غلياً (٢).

ذلك هو المقداد، رجلٌ جهادٍ إذا زلزلت الحربُ الأبطال..

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة - الجزء الأول، صفحة (١٦٧ و ١٦٨) طبعة أولى، الهند (١٣٥٥هـ) وأبو نعيم: الحلية - الجزء الأول، صفحة (١٧٥)؛ (٢) الكاندهلوي: حياة الصحابة، المجلد الأول، طبع دار المعرفة - بيروت.

وأما في السلم، فهو مُعَلِّمٌ للقرآن... وموجه تربوي إلى روح الإسلام... وهو مع هذا يعمل بيده ليأكل طعامه عَذْباً، حلالاً...

ذلك هو المقداد أول عربيٍّ عدا به فرسه في سبيل الله^(١)... ذلك هو المقداد الذي تَحَدَّثَ عنه الإمام موسى بن جعفر الصادق، فقال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حواري رسول الله (ص) الذين لم ينقضوا العهد، ومضوا عليه؟؟ فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر^(٢).

المقداد يشارك في فتح مصر:

أرسل عمر بن الخطاب مدداً لعمر بن العاص أثناء فتح مصر، الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً من الجنود، وفيهم أجلاء الصحابة، وفرسان المسلمين أمثال «المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخْلَد، وخارجة بن حذافة.

وحين وصل الزبير مصر حاصر حصن «بابلْيون»، وهو الحصن القوي الذي كانت تحتمي به قوات الروم، لِيسَعَتْهِ وعلو أبراجه، والذي استعصى على كثير من الغازين والفاطحين...

فحاصروه سبعة أشهر، وأخيراً تم فتحه^(٣).

(١) أبو هلال العسكري: الأوائل: القسم الأول، صفحة (١٥٨) طبع وزارة الثقافة بدمشق.

(٢) الطوسي: اختيار معرفة الرجال صفحة (٩).

(٣) راجع محمد علي قطب: العشرة المبشرون في الجنة، مكتبة الغزالي، ص ١٥٨ - ١٥٩.

ويقول الغلامي في المقداد: وكان من الفضلاء، النجباء،
السابقين إلى الإسلام، شهد فتح مصر^(١)...

ألا ما أسنى المقداد بن الأسود!
إنه يرى أن الإسلام نهر الحياة الذي يروي شجرة الإنسانية،
فتخضر، وتبسق فروعها، وتمتد ملء الأرض، وتؤتي ثمارها
الغضة حباً، وعدلاً، ومدنية، وسلاماً...

وهو من أجل هناء الإنسان مرتبط بقول الله: ﴿انفروا خفافاً
ونثقلاً...﴾.

عود المقداد إلى جوار رسول الله (ص).

ويعود المقداد من مصر إلى مدينة الرسول (ص)... ويقصد
أول ما يقصد قبر رسول الله (ص) مسلماً... ثم يجلس في
الروضة التي بين المنبر، والقبر... فيتذكر أيامه الحاليات مع
رسول الله (ص)... فتurf في عينيه عبرات الحب،
والشوق...

حتى إذا بَلَّ أَوام أشواقه من زيارته قبر نبي الهدى (ص)...
قصده دار علي بن أبي طالب (ع) يتذوق فيها حلوة
الوحي... وطراوته...

ويتنسم منها صبا النبوة المعطار...
وحين يرى أن نفسه تنتشي من رحيق المباهج السماوية...
يعود إلى منزله في الجرف، رِيَّانَ القلب، ناضراً

(١) الشيخ الغلامي: أصحاب بدر، طبع بغداد ١٩٦٦.

الإحساس... ليلتقي بأسرته بعد غيابٍ طويلٍ... طويل...
ثم يعيش بعضاً من الوقت، حياة رتيبة، يقضيها بين داره،
وقبر الرسول (ص)، ودار علي بن أبي طالب (ع)...
ولكن تلك الرتبة لم تخلق لديه سأمًا...
بل كانت تُغلف نفسه بنسيجٍ من خيوط الملذات الروحية،
تجدد طاقاته الروحية... والبدنية...

المقداد وعبد الله بن عمر:

أخرج أحمد واللالكائي في السنة، وأبو القاسم بن بشر في
أماله، وابن عساكر في تاريخه، عن البهي: أن عبد الله بن
عمر بن الخطاب شتم المقداد، فشكاه المقداد إلى أبيه، فنذر
ليقطع لسانه، فلما خاف ذلك من أبيه تحمّل^(١) على أبيه
بالرجال فقال عمر: دعوني أقطع لسانه، حتى لا يشتم بعد،
أحدًا من أصحاب رسول الله (ص)^(٢).

اغتيال عمر:

وذاث يوم يبلغه: أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، طعن
عمر بخنجره طعنات قاتلة، فيمضي إلى المدينة مسرعاً...
وهو في طريقه يعلم أن عمر جعل الخلافة شوري بين ستة

(١) تحمّل: استشفع.

(٢) راجع، منتخب كنز العمال - الجزء الرابع صفحة (٤٢٤) + محمد يوسف
الكاندهلوي: حياة الصحابة، المجلد الثاني، صفحة (٣٩٩) طبع دار
المعرفة - بيروت

من المسلمين: علي بن أبي طالب (ع)، وعثمان بن عفان،
وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد
الله، والزبير بن العوام... ويعلم، أنه أوكل إلى عبد الرحمن
بن عوف أن يبت في أمر الخلافة إذا حدث انقسام ويتأكد
عنده، أنه طلب من عبد الرحمن أن يوليه منصب الخلافة،
فأبى... وأنه قال: لو كان أبو عبيدة حياً لوليته... وأنه لو كان
سالم^(١) حياً، لوليته، وأنه قال لعلي: أما لو أنك ولّيتهم
لحملتهم على المحجة البيضاء...

فيذهله ذلك...: عمر يعلم أن علياً يسير بالناس في الطريق
التي عبدها وحيّ الله،... ولا يبايعه...

في حين يلح على عبد الرحمن أن يوليه... وفي حين
يقول: لو كان أبو عبيدة حياً لوليته... ولو كان سالم حياً
لوليته...

(١) سالم مولى أبي حذيفة بنت عتبة من أهل فارس اعتقته مولاته زوج أبي
حذيفة، ثم تنهأ أبو حذيفة، من القراء، هاجر مع عمر إلى المدينة، وقد
روي عن عمر أنه قال: لو كان سالم حياً ما جعلتها شوري... يقول
صاحب الاستيعاب تعليلاً على قول عمر: وهذا عندي أنه كان يُصدر فيها
عن رأيه. استشهد باليمامة. (راجع، ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب،
الجزء الثاني بهامش الإصابة، صفحة (٧٠) حرف السين - القسم الأول).
أما الدكتور علي شلق فيقول: «لكن عمر، وهو الذكي اللمعي، الرائي،
خشّي من هذا المركب الصعب، وجهد جهداً ليعدها عن علي، لينجو من
تولية النخبة القرشية، فأوكل إلى الستة أن يختاروا، وهؤلاء الستة، مُخَيَّرُونَ
لاختيار أي واحد منهم، سوى علي بن أبي طالب، على الرغم من أنه كان
أجدرهم...». (راجع، الدكتور علي شلق، كواكب الإسلام، علي بن أبي
طالب، ص (٤٢) ط. دار المسيرة - بيروت، طبعة أولى (١٩٧٩).

ويتساءل بلوعة من الألم: كيف يصدر ذلك عن الفاروق
عمر؟

ويهمس لنفسه: لقد صرفوها عن قطبها أولاً وثانياً، فهل
يصرفونها عنه ثالثاً؟..

ويرتاب المقداد في جعل عبد الرحمن حكماً، عند انقسام
رجال الشورى^(١)، ويقول: لماذا خُصَّ عمر عبد الرحمن بهذا
الامتياز؟

إن المقداد يرى أن علي بن أبي طالب (ع)، أولى بمقام
رسول الله (ص) من جميع الأصحاب... بل إنه يراه له حقاً
ثابتاً...

ولكنه يعلم أن قريشاً تكره علياً، وقد نطق عمر نفسه بهذه
الحقيقة؛ قال لابن عباس: إن قريشاً تكره أن تحتجم فيكم
الخلافة والنبوة، فتكون بجحاً، بجحاً^(٢).

إذن، فكيف يرشحه للخلافة؟
هل أراد أن يتحدّى قريشاً في اللحظات الأخيرة من حياته،
أم أنه اتخذ من ذلك مسرباً ليضع الخلافة في بني أمية عن
طريق عبد الرحمن صهرهم، ويُرضي قريشاً حياً وميتاً؟
وتأخذ الشكوك بنبضات قلب المقداد، حتى لتكاد تمسكه
عن الحركة...

(١) راجع كتابنا وأبا ذر، فهناك تفصيل لحادثة البيعة
(٢) راجع، الطبري: القسم الأول - ٥ - صفحة (٢٧٩٦) مطابع حيطة -
بيروت.

ويصبح قريباً من دار عمر... ويرى الناس يدخلون ويخرجون، فينسى شكوكه، ويدخل على عمر يواسيه، ويبيدي حزنه لما أصابه...

عمر يسند إلى المقداد جمع رجال الشورى:

وينظر عمر إلى المقداد ويقول: يا أبا معبد! إذا وضعتوني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت واحد، حتى يختاروا رجلاً منهم^(٣)، ويقول عمر لرجل أشار عليه أن يولي ابنه عبد الله: ويحك، إنك لم تُرد بها وجه الله، كيف أولي رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته؟؟ لا، بحسب آل عمر، أن يحسب رجل واحد منهم، وأن يموت كفافاً لا وز، ولا أجر^(٤).

عبد الرحمن يبايع عثمان بن عفان:

ويمضي عمر إلى ربه، ويجمع المقداد القوم... وتبدأ المناورات... وبعد اجتماعات متعددة، ينقسم رجال الشورى على أنفسهم كما هو متوقع...

وللمرة الأخيرة يجتمعون في مسجد رسول الله (ص)،

(١) ابن الأثير: الكامل. المجلد الثالث، صفحة (٦٧) ط. مصر ١٩٦٥.
 (٢) الطبري: أحداث (٢٣هـ)، ونقل محمد يوسف الكاندهلوي في كتابه «حياة الصحابة» المجلد الثاني، ص (٩٩)، ط. دار المعرفة - بيروت؛ أنه قد أخرج هناد، وأبو نعيم في الحلية ج ١، ص ٥٢، والبيهقي عن الضحاك، قال، قال عمر: يا ليتني كنت كبش أهلي، يسمنوني ما بدا لهم، حتى إذا كنت أسمى ما أكون، زارهم بعض من يحسون، ذبحوني فجعلوا بعضي شواء، وبعض قديداً، ثم أكلوني، فأخرجوني عذرة، ولم أكن بشراً.

فبإيعاد عبد الرحمن عثمان بن عفان...
ولتستمع إلى الطبري يقص علينا نبأ ذلك، يقول الطبري:
«في صبيحة اليوم الثالث من وفاة عمر، وبعد صلاة الصبح،
جمع عبد الرحمن الرهط، ويعث إلى من حضره من
المهاجرين والأنصار، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا، حتى
ارتجى المجلس بأهله، فقال: أيها الناس!! إن الناس أحبوا أن
يلحق أهل الأمصار بأصهارهم، وقد علموا من أميرهم؟؟

قال سعيد بن زيد: إنا نراك لها أهلاً...
- أشيروا عليّ بغير هذا...
فقال عمار بن ياسر: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع
عليّاً.

فقال المقداد بن الأسود الكندي: صدق عمار بن ياسر، إن
بايعت عليّاً، قلنا: سمعنا وأطعنا.
قال ابن أبي سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش، فبايع
عثمان بن عفان^(١).

قال عبد الله بن ربيعة: صدق، وإن بايعت عثمان قلنا:

(١) «ابن أبي سرح أسلم نكابة بالإسلام، حتى إذا وكل إليه الرسول كتابة بعض
الوحي، خان الأمانة، وحاول أن يبدل ويغير في التنزيل، فأهذر الرسول
دمه، ثم عفا الرسول عنه بعد رجاء، ومراجعات من عثمان بن عفان (راجع،
عبد الفتاح عبد المقصود - الجزء الثاني من المجموعة الكاملة، ص (١٥)
منشورات دار العرفان. وابن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة، وكان أبوه
منافقاً، وفي ابن أبي سرح نزلت الآية (٩٣) من سورة الأنعام التي تقول:
«ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً وقال أوحى إليّ ولم يُوحَ إليه شيء»
ومن قال سأنزل مثلاً أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات
الموت... الآية.

سمعنا، وأطعنا...
فشتتم عمار عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقال له: متى
كنت تنصح المسلمين؟؟

ويتكلم بنو هاشم... وبنو أمية...
ويقول عمار: أيها الناس!! إن الله أكرمنا بنيه، وأعزنا
بدينه، فأني تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم؟؟
فقال رجلٌ من بني مخزوم: لقد عدوتَ طورك يا بن سمية،
وما أنت وتأمير قريش لأنفسها؟؟
فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن!! افرغ قبل أن
يفتن الناس.

فقال عبد الرحمن: إني نظرت وشاورتُ، فلا تجعلُ أيها
الناس على أنفسكم سبيلاً... ودعا علياً فقال: عليك عهد الله
وميثاقه، لتعملنَ بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخليفين من
بعده...

قال: أرجو أن أفعل، وأعمل بمبلغ علمي، وطاقتي.
ودعا عثمان، فقال له مثل ما قال لعلي (ع)، قال: نعم،
فبايعه.

المقداد وعبد الرحمن:

قال المقداد لعبد الرحمن: أما والله لقد تركته من الذين
يقضون بالحق، وبه يعدلون...

ثم يتابع قائلاً: ما رأيْتُ مثلاً ما أُوتي إلى أهل هذا البيت
بعد نبيهم، إني لأعجبُ من قريش، إنهم تركوا رجلاً ما أقول:

أن أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل، أما والله لو أجد عليهم
أعواناً...

ويقطع عليه عبد الرحمن كلامه فيقول: يا مقداد! أتت الله،
فلإني خائف عليك الفتنة^(١)...

أما المسعودي فإنه يقول: وقام المقداد - أي بعدبيعة عثمان
-، فقال: ما رأيك مثل ما أؤدي به أهل هذا البيت بعد نبهم.

فقال له عبد الرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد؟
- إني والله لأحبهم، لحب رسول الله إياهم، وإن الحق
لمعهم وفيهم...

يا عبد الرحمن! أعجب من قريش، وإنما تطولهم على
الناس بفضل أهل هذا البيت، وقد اجتمعوا على نزع سلطان
رسول الله من بعده، من أيديهم، أما، وإيم الله، يا عبد
الرحمن، لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع
رسول الله يوم بدر^(٢).

ويورد اليعقوبي في تاريخه أن بعضهم قال: دخلت مسجد
رسول الله (ص)، فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه، يتلهف تلّهف
من كانت له الدنيا فسلمها، وهو يقول: واعجباً لقريش!
وَمَنَعَهُمْ هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم، وفيهم أول المؤمنين،
وابن عم رسول الله، أعلم الناس، وأفقههم في دين الله،

(١) راجع، الطبري: القسم الأول - ٥ - أحداث عام (٢٣ هـ) من الصفحة
(٢٧٨٧ - ٢٧٨٧) مكتبة خياط - بيروت.

(٢) راجع، مروج الذهب: المسعودي - الجزء الثاني، ص (٣٤٣) طبع دار
الأندلس - بيروت.

وأعظمهم عناء في الإسلام، وأبصرهم بالطريق، وأهداهم
للمصراط المستقيم.

لقد والله زووها عن الهادي، المهتدي، الطاهر، التقي، وما
أرادوا إصلاحاً للأمة، ولا صواباً في المذهب، ولكنهم آثروا
الدنيا على الآخرة، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين.

فدنوتُ منه فقلتُ: من أنت يرحمك الله؟؟ ومن هذا
الرجل؟؟

- أنا المقداد بن الأسود، وهذا الرجل علي بن أبي طالب
(ع).

- ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه؟؟
- يا بن أخي!! إن هذا الأمر لا يجزي فيه الرجل، ولا
الرجلان..

ثم خرجتُ، فلقيت أبا ذر، فذكرتُ له ذلك، فقال: صدق
أخي المقداد^(١).



تري، لو وضعنا هذه النصوص التاريخية الثلاثة تحت مجهر
الدرس، فماذا ينكشف لنا؟؟

إنها ترينا أن قريشاً كانت تفور تعصباً على ابن أبي طالب
(ع) وحقداً.

فابن أبي سرح الذي ينطق بلسان قريش يقول: «إن أردت،

(١) راجع، تاريخ اليعقوبي: الجزء الثاني، صفحة (١٤٠) المكتبة المرتضوية في
النجف ١٣٥٨هـ + الطبري، قسم أول - ٥ - ص ٢٧٨٦.

أن لا تختلف قريش فبايع عثمان...»

وعمار والمقداد يقولان: إن أردت أن لا يختلف الناس فبايع علي بن أبي طالب (ع)، فهما يستندان إلى جماهير الشعب... تطبيقاً لمبدأ الإسلام... (إن أردت أن لا يختلف الناس فبايع علياً...)

أما ابن أبي سرح، فإنه ينزع منزعاً قَبلياً معادياً (لإيدولوجية) الإسلام (إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان).

وتتم البيعة لعثمان على أساس هذا المنزع القبلي الصرف...

يقول الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود تعليقاً على بيعة عثمان هذه: «وتمت له إمرة الناس، لا بالناس، إنما بمشيئة رجل فرد من قريش، كان هو الآخر يترجم عن عاطفة قَبليّة».

«تلك لحظة من لحظات الدهر، بدت فيها الأنانية والعصبية، كما لم تَبْدُ بمثل وضوحها في غيرها من لحظات الإسلام السوالف، ولسوف تظل عنواناً على عهدٍ تقدم فيه الشخصيات على الجماعات»^(١).

وإذا كان المخزومي قد أبرز هوية قريش الطبقية بقوله للمقداد: ما أنت وتأمير قريش لنفسها؟؟

فقد أبرز عبد الرحمن نفس الهوية حين قال للمقداد: ما أنت وذاك يا مقداد؟؟

(١) عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي بن أبي طالب - الجزء الأول من المجموعة الكاملة، صفحة (٢٧٩) منشورات دار العرفان - بيروت.

وحين يعرض علينا عبد الرحمن والمخزومي مشاربهما
الراسية في نقيع الجاهلية، نرى المقداد يطلع علينا بحجة
ساطعة لا تنهض أمامها حجة... .

إنه يقول: أعجب من قريش، وإنما تطولهم بفضل أهل هذا
البيت، وما داموا يتناولون على الناس بفضلهم، فكيف
ينازعونهم مقام الرسول (ص) وهم أولى به حياً وميتاً...؟؟.

ويُفصَح لعبد الرحمن عَنْ سَبَبِ حُبِّهِ عَلِيًّا (ع) وأهل بيته
فيقول له: إني والله لأحبهم لحب رسول الله إياهم... .

يقسم له بالله إن حبه إياهم منزّه عن كل رجس، لأنه امتداد
لحب رسول الله (ص)... .

ويقول لعبد الرحمن: وإن الحق لمعهم وفيهم... .
وهذه شهادة صدقي من فارس رسول الله (ص)، الذي تشتاق
إليه الجنة.

والمقداد يأتي ببرهانٍ عن سبب حُبِّه لعلي بن أبي طالب (ع)
رأس أهل البيت المحمدي بعد رسول الله (ص) إذ يقول: إني
لأعجب من قريش... .

ولماذا يعجب منهم؟؟ لِنَسْمَعَهُ، ونتبين منطق عجبه من
قريش: «إنهم تركوا رجلاً، ما أقول أن أحداً، أعلم، ولا أقضى
بالعدل منه»... .

ويشهد لعلي (ع) شهادة ثانية فيقول: إنه أول الناس إيماناً،
وابن عم رسول الله (ص)، أعلم الناس، وأفقههم في دين الله،
وأعظمهم عناء في الإسلام، وأبصرهم بالطريق، وأهداهم

للمصراط المستقيم...

ومع كون علي (ع) كل هذه الصفات التي رقى بها فوق الجميع، فقد حجبوا عنه الخلافة «والله لقد زووها عن الهادي... وما أرادوا إصلاحاً للأمة؛... ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة»...

فالمقداد يربط حياة جماهير الشعب وصلاحها... بعلي الذي يستطيع بما أوتي من: علم، وحكمة، ووعي للعدالة الاجتماعية، وخلق قرآني، أن يسوسها سياسة تبني لها (المدينة الفاضلة) التي تُشدها مبادئ الإسلام وعقائده...

تلك صورةٌ زاهرةٌ بالحياة تتكشف لنا من دراسة النصوص التاريخية الثلاثة...

ولا بُدَّ أن المقداد كان يتساءل بحسرة: كيف يبغض هؤلاء علي بن أبي طالب (ع)، ويصلونه من أحقادهم كيداً، وقد سمعوا رسول الله (ص) يقول له: أنت ولي كل مؤمن بعدي^(١) وعلي (ع) مع القرآن والقرآن مع علي (ع) لا يفترقان حتى يردا علي الحوض^(٢).

(١) راجع، ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صفحة (٣٦) المجلد الثالث في هامش «الإصابة»، وراجع الإصابة: ابن حجر العسقلاني - المجلد الثاني صفحة (٥٠٨ و ٥٠٩) طبعة جديدة (بالأوفست) بغداد، وراجع، السيوطي: تاريخ الخلفاء، صفحة (١٧٠) طبع مصر.
(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء صفحة (١٧٣) وراجع: كثر العمال، حديث (١١٥٢). وصواعق ابن حجر المحرقة ص (٧٥).

و: النظر إلى وجه علي (ع) عبادة^(١).

و: مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحْبَبَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ^(٢)...

وكان أقرب الناس إلى قلب رسول الله، وأحبهم إلى نفسه^(٣).

و... و... و...^(٤)

من أجل أنهم يعرفون أقوال الرسول (ص) هذه ويكفرون بها... يتمنى أن يجد أقواماً يساعدونه على حربهم ليحاربهم كما فعل في بدر...

ومن أجل ذلك يدعو عليهم فيقول: «فبعداً، وسحقاً، للقوم الظالمين، الذين آثروا الدنيا على الآخرة»...

ولكن هل انحراف قريش عن نهج الإسلام جعله يقعد عن الجهاد؟؟

(١) راجع، الحافظ الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الجزء التاسع، صفحة (١١٩)، ويروي الحافظ في مجمعه هذا، عن طليق بن محمد، قال: رأيت عمران بن الحصين يُجَدُّ النظر إلى علي، فقيل له، فقال: سمعت رسول الله يقول: النظر إلى علي عبادة. وراجع، الشبلنجي الشافعي، باب فضائل علي، وراجع السيوطي: تاريخ الخلفاء، صفحة (١٧٢)، طبع مصر. وراجع الشيخ سليمان القندوزي الحنفي: بتايع المودة الجزء الأول صفحة (١٢١) الباب الأربعون.

(٢) ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في هامش الإصابة - المجلد الثالث، صفحة (٣٧).

(٣) راجع الأحاديث السابقة وغيرها في كتب الحديث

(٤) راجع التربية الإسلامية - الثالث الإعدادي، فئة من المدرسين، ط. دار البعث دمشق ١٩٨٠ - ١٩٨١.

معاذ الله . ما كان للمقداد و هو من نجباء رسول الله (ص) .
 وحواريه . . . ما كان له و هو أحد أربعة تشاق إليهم جنة الخلد .
 ما كان له ، وهو الذي وُصفَ بأنه من : الفضلاء ، النجباء ،
 الكبار ، الخيار ، من أصحاب النبي (ص)^(١) .

ما كان له أن يقعد عن الجهاد الذي يُعزُّزُ كلمة التوحيد ، فهو
 بعدما استأثرت قريش بالخلافة ذهاباً مع ضغنهما الأسود على علي
 شُدَّ راحلة الجهاد ، وجعل حَمالة سيفه في عنقه ، ومضى ،
 ولكن ، إلى أين؟؟

المقداد في فتح قبرص:

ويخاطب المقداد نفسه فيقول: هذه دمشق يا مقداد!!!
 وَيَخِفُّ إلى الجيش الذي يُجهزه معاوية ، فَيُسَلِّكُ نفسه في
 أفرادها ، ويلتقي هناك بإخوة الإيمان والأنس: أبي ذر الغفاري ،
 وعبادة بن الصامت^(٢) ، وأبو أيوب الأنصاري . . . وغيرهم ،
 فيركب معهم البحر الأبيض المتوسط ، ويمضون لاحتلال
 قبرص ، ليرفعوا نير الاستعباد الروماني عن أعناق المحرومين
 . . . فتفتح لهم أبوابها^(٣) . . . ويرفع المقداد صوته فوق هضاب
 جزيرة قبرص: الله أكبر. الله أكبر. أشهد أن لا إله إلا الله ،
 وأشهد أن محمداً رسول الله . . .

(١) ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في هامش الإصابة ، المجلد الثالث ،
 صفحة (٤٣٧) .

(٢) كان مع عبادة زوجته = أم حرام بنت سلمان ، فماتت هناك ، وقبرها في
 قبرص يدعى «قبر المرأة الصالحة» .

(٣) الدكتور سهيل زكار: مختارات من كتاب المؤرخين العرب صفحة (٧٥) .

رجوع المقداد إلى مدينة الرسول (ص):

كان المقداد ينزل رحاب الثامنة والستين حينما خاض معركة قبرص...

ذلك هو، في شبابه وشيخوخته... شعاره قول الله:
﴿انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا...﴾

إنه يرى نفسه في ميدان الجهاد، خفيفاً، نشيطاً، فتى...
وأن تطلعاته إلى المستقبل مُلَوَّنة بمطامع الشباب الغريد...

وهوذا يعود إلى «مدينة الرسول (ص)» صافي الروح أنقى ما
يكون الصفاء... وَأَسْطَعَهُ...

لقد عمر الإسلام الجزيرة العربية كلها..

وأدرجت أضواؤه في غلائلها بلاد: الشام، والعراق، ومصر...

وإنه ليمتد في دنيا الناس، شرقاً،... وغرباً... دِفء
محبة... وخمائل حنان...

هذا ما وعده الله ورسوله (ص) يُشرق ضحى باهراً... عاطراً...

ولإذن، فلْيُبعد إلى الأهل في الجُرف، وإلى منبع الهدى في
المدينة،... يتنسم راحةً آنيّةً لجسمه، الذي أرققه عسراً...

وتتلقاه المدينة بترحاب أطيب روحاً من أنفاس العبير...

ويستقر في داره بالجرف، تتدفق الغبطة في إحساسه سَكَبَ
رضى، ونفحات طيب...

وفاة المقداد

ويهدأ الجسد الذي طالما غالب مكاره السفر... واقتحم
ضرام المعارك،... وصاول الأبطال...

وهذا الهدوء جعله يكتنز شحماً... فإذا جَسَدَ البطل يَتَّابُهُ
مَرَضٌ في المَعْدَةِ..

فيقدمون إليه دُهْنُ الخروج، فيشرب منه جُرْعاً...
ثم.. ثم لا تلبث الروح الزكية أن تهجر الجسد الطيب..
إلى المكان الذي يشتاق إليها..
إلى جوار رسول الله (ص) في الرفيق الأعلى...

ويصل نبأ وفاة المقداد إلى المدينة، فيُسرع المسلمون إلى
داره في الجرف جماعات، جماعات، ناكسي الرؤوس حزناً على فقده...

تقول كريمة ابنته: مات أبي بالجرف على ثلاثة أميال من
المدينة، فحمل على رقاب الرجال، حتى دفن بالمدينة بالبقيع،
وذلك سنة ثلاث وثلاثين، (٦٥٣م)، وكان يوم مات ابن سبعين
أو نحوها^(١)

فسلام على المقداد بن الأسود نجيب رسول الله (ص)،
وفارسه، وأحد الأقطاب «الأربعة الذين تشتاق إليهم الجنة»...

سورية - جبلة محمد علي اسبر

١٩٧٨ / ١٠ / ١٠

(١) ابن سعد: الطبقات - المجلد الثالث، صفحة (١٦٣) طبع دار صادر -
بيروت، ويروي صاحب الطبقات في الصفحة نفسها أن عثمان بن عفان هو
الذي صلى على المقداد، وأن عثمان جعل يثني على المقداد بعدما مات،
فقال الزبير:

لا ألفيتك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا
راجع، الدينوري: المعارف، ط. ٢، بيروت ١٩٧٠. أما ابن الأثير فإنه
يخبرنا في المجلد الثاني، صفحة (١٤٦) أن المقداد أوصى أن يصلي عليه
الزبير، وعن ابن إسحق أن الذي صلى عليه عثمان بن عفان، راجع:
الهيتمي: مجمع الزوائد...

المصادر

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - من كتب الحديث، للرسول (ص).
- ٣ - السيرة النبوية، ابن هشام - المجلد الأول والثاني والثالث.
- ٤ - البلاذري، أنساب الأشراف.
- ٥ - تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، القسم، ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥.
- ٦ - تاريخ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، الجزء الأول والثاني.
- ٧ - تاريخ الكامل، ابن الأثير - الجزء الثاني.
- ٨ - المسند، الإمام أحمد بن حنبل - الجزء الأول.
- ٩ - محمد رسول الله، محمد رضا.
- ١٠ - مجلة الهلال، عدد أيلول ١٩٧٨.
- ١١ - منجد الأسماء، اليسوعي.
- ١٢ - دائرة المعارف الإسلامية، فئة من المستشرقين.
- ١٣ - لسان العرب، ابن منظور.
- ١٤ - المعرفة، الموسوعة العلمية المصورة، المجلد الخامس عشر.
- ١٥ - الذين هبطوا من السماء، أنيس منصور.
- ١٦ - البداية والنهاية، ابن كثير - الجزء الثالث والرابع.

- ١٧ - أسد الغابة، ابن الأثير - الجزء الرابع.
- ١٨ - حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي - المجلد الأول والثاني.
- ١٩ - الإصابة في التمييز بين الصحابة، ابن حجر العسقلاني - الجزء الثاني.
- ٢٠ - مجلة الفيصل، عددا أيلول وتشرين الثاني لعام ١٩٧٧.
- ٢١ - الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني - المجلد الثالث، والرابع عشر، والسادس عشر.
- ٢٢ - نور الأبصار، الشبلنجي الشافعي.
- ٢٣ - علي بن أبي طالب، عبد الكريم الخطيب.
- ٢٤ - غزوة بدر، عبد الحميد جودة السحار.
- ٢٥ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي - المجلد الثالث.
- ٢٦ - صفة الصفوة، ابن الجوزي - الجزء الأول.
- ٢٧ - صحيح البخاري، البخاري - الجزء الأول، والرابع، والخامس، والسادس.
- ٢٨ - يوم أحد، خليل هنداي.
- ٢٩ - صحيح مسلم، مسلم - الجزء الأول، والسابع.
- ٣٠ - موطأ مالك، الإمام مالك.
- ٣١ - حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني - المجلد الأول.
- ٣٢ - الطبقات الكبرى، ابن سعد - المجلد الثالث.
- ٣٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي - الجزء ان: السابع، والتاسع.
- ٣٤ - الأعلام، خير الدين الزركلي - الجزء الثامن.
- ٣٥ - تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني - الجزء العاشر.
- ٣٦ - الخطط المقرزية، المقرزي - المجلد الثاني.

- ٣٧- العقد الفريد، ابن عبد ربه - الجزء الثالث والخامس.
- ٣٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي - الجزء الثالث بهامش الإصابة.
- ٣٩- إسعاف الراغبين، الشيخ محمد الصبان بهامش نور الأبصار.
- ٤٠- كناية الطالب، الكنجي الشافعي.
- ٤١- الفضائل والمناقب، الإمام أحمد بن حنبل.
- ٤٢- الإمام علي بن أبي طالب، عبد الفتاح عبد المقصود - الجزء الأول (المجموعة الكاملة).
- ٤٣- اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي.
- ٤٤- الأوائل، أبو هلال العسكري - الجزء الأول والثاني.
- ٤٥- السنن الكبرى، البيهقي - الجزء التاسع
- ٤٦- أصحاب بدر، الشيخ الغلامي.
- ٤٧- مروج الذهب، المسعودي - الجزء الثاني.
- ٤٨- تاريخ يعقوبي، يعقوبي - الجزء الثاني.
- ٤٩- تاريخ الخلفاء، السيوطي.
- ٥٠- مختارات من المؤرخين، الدكتور سهيل زكار.
- ٥١- الدين عادوا إلى السماء، أنيس منصور.
- ٥٢- سيد الأوس سعد بن معاذ، صابر محمود.
- ٥٣- المعارف، ابن قتيبة الدينوري.
- ٥٤- الطبقات، الأزدی - القسم الأول.
- ٥٥- سفر التكوين، الإصحاح العاشر.
- ٥٦- اليمين واليسار في الإسلام، أحمد عباس صالح.
- ٥٧- أسواق العرب في الجاهلية، سعيد الأفغاني.
- ٥٨- كتاب العلوم، بغدادی ورفاقه.
- ٥٩- وسائل الشيعة، الحر العاملي - المجلد التاسع.

- ٦٠ - النظم الإسلامية، المستشرق الفرنسي، م. غود فروا، ترجمة الدكتورين: فيصل السامر وصالح الشماع، ١٩٦١.
- ٦١ - حرب الجمل: السيد محسن الأمين.
- ٦٢ - خطط الكوفة، ماسينيون.
- ٦٣ - إدارة العراق في صدر الإسلام، رمزية عبد الوهاب الخيرو.
- ٦٤ - قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، محمد تقي التستري.
- ٦٥ - ينابيع المودة، الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي - الحنفي.
- ٦٦ - كواكب الإسلام الإمام علي بن أبي طالب، الدكتور علي شلق.
- ٦٧ - الأزمنة والأمكنة، المرزوقي - الجزء الثاني.
- ٦٨ - الخصائص، النسائي.
- ٦٩ - جمع الجوامع، السيوطي - الجزء السادس.
- ٧٠ - عبقرية الإمام، عباس محمود العقاد.
- ٧١ - كنز العمال، الجزء السادس.

محتويات الكتاب

٧ - ٥ قالوا في المقداد
١٢ - ٩ المقدمة

الفصل الأول

٢٦ - ١٥ المقداد بن الأسود
٢٨ - ٢٧ المقداد والأسود
	قدوم والدي المقداد - وفاة أبيه - زواج الأسود من
٣٠ - ٢٨ ام المقداد - تبنيه إياه
٣٧ - ٣٠ اسلام المقداد
٤٨ - ٣٧ الله بأمر رسوله
٥٣ - ٤٨ الهجرة الأولى، الهجرة الثانية
٥٥ - ٥٣ عمر بن العاص في الحبشة
٥٩ - ٥٥ رجوع المقداد
	هجرة الرسول - علي نيام في فراش
٥٩ رسول الله
٥٦ وفاة أبي طالب وخديجة
٦٧ - ٥٧ خروج الرسول إلى الطائف

الفصل الثاني

٧٥ - ٧١	بدء الصراع بين الرسول وقريش،
٧٨ - ٧٥	الرسول ينظم يثرب
١٠٦ - ٧٩	وقعة بدر
١٠٨ - ١٠٧	غزوة أحد
١٣٩ - ١٠٩	معركة أحد
١٤١ - ١٣٩	المعركة التاريخية
١٤١	الرسول يزوج المقداد
١٤١	اولاد المقداد
١٤٥ - ١٤٢	غزوة ذي قرد
١٤٥ - ١٤٣	فتح مكة
١٤٦ - ١٤٥	الرسول يضع المقداد
١٤٧ - ١٤٦	المقداد يشهد الغزوات
١٤٧	المقداد يرفض
١٤٩ - ١٤٨	دعوات من الرسول
١٥١ - ١٤٩	المقداد لا يقتل.. طمعاً بالمال
١٥٢ - ١٥١	المقداد يروي عن الرسول
١٥٢	أسماء الذين روى عن المقداد
١٥٢	المقداد المضيايف

الفصل الثالث

١٧٦ - ١٥٥	المقداد بعد إنتقال الرسول إلى الملأ الأعلى
١٧٨ - ١٧٦	يوم اليرموك - المقداد في معركة اليرموك
١٨٠ - ١٧٨	قادة الروم في الشام يكتبون الى هرقل

١٨١ - ١٨٠	هرقل يطلب
١٨٢ - ١٨١	المسلمون يكتبون إلى أبي بكر
١٨٨ - ١٨٣	الروم يخرجون للقاء... المسلمين
١٨٩ - ١٨٨	أبو بكر يتلهف عند موته على ثلاث
١٩٠ - ١٨٩	المقداد بعد الفتح يقول
١٩٠	المقداد في فتح حمص
١٩١ - ١٩٠	المقداد يعلم أهل حمص قراءة القرآن
١٩٢ - ١٩١	في جلسة تنديها حلاوة الايمان
١٩٣ - ١٩٢	المقداد يقول
١٩٤ - ١٩٣	المقداد يشارك في فتح مصر
١٩٥ - ١٩٤	عود المقداد إلى جوار رسول الله (ص)
١٩٥	المقداد وعبد الله بن عمر
١٩٨ - ١٩٥	اغتيال عمر
١٩٨	عمر يسند الى المقداد
٢٠٠ - ١٩٨	عبد الرحمن يبايع عثمان
٢٠٧ - ٢٠٠	المقداد وعبد الرحمن
٢٠٨	رجوع المقداد الى مدينة الرسول
٢١٠ - ٢٠٩	وفاة المقداد
٢١٤ - ٢١١	مصادر الكتاب

إيمان وقوة؛ جهاد وترفع؛ تواضع وتسامح
وخلود...

حقائق ساطعة تنجسد في شخصية المقداد بن الأسود
الكندي، تلك الشخصية الفذة التي أشرقت مع شروق الإسلام
على الدنيا، نورا وجمالا، وعطاءا سمحا.
حمل السيف مدافعا عن الحق الأعظم، وقضى حياته
بمجاهدا في سبيل الله الواحد الأحد.

امن برسالة محمد (ص) فكان من السابقين السبع...
وخاض غمار الحروب، إلى جانب نبي الهدى، بعزم وثبات،
فلُقب «بفارس الرسول»، وكتب له ولايته في الإيمان النصر
الأكيد، في تغيير المفاهيم، وتبديل المعتقدات، وغسل عقول قبائل
الجزيرة العربية في ذلك الزمان، من الكفر والجهل والوثنية،
ورفعها إلى المستوى العقلائي المؤمن، والتفكير الانساني والروحاني
المطلق.

وقد وفق الكاتب في بحثه واستقصاءاته، وتصنيفه ما كتب
من روايات متعددة حول شخصية المقداد وحياته. فمعتبرا
اعتسادا قاطعا على ما قاله الرسول (ص) في المقداد - الصحابي
الجليل - مؤدبا بذلك الأمانة التاريخية بصدق في الإيمان
والعمل.

الناشر